

أضواء على أصول الدين وفروعه

مجموعة من الخطب

التي ألقاها سماحة حُجَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ

السيد مقتدى الصدر (أعزه الله)

أضواء على أصول الدين وفروعه

المؤلف: السيد مقتدى الصدر (أعزه الله)

العدد: ٢٠٠٠

المطبعة: دار الضياء للطباعة والتصميم

الطبعة: الثانية (١٤٣٧ - ٢٠١٦)

جميع الحقوق محفوظة



النجف الأشرف

٠٧٧٠٦٠٦٢٧٧٨

alturaath_1943@yahoo.com

alturaath.43@gmail.com

دار الضياء للطباعة والتصميم



العراق - النجف الأشرف

٠٧٨٠١٠٠٦٠٣

aldhia_company@yahoo.com

www.aldhiaprinting.com

فرع الدين

الصلوة

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
توكلت على الله رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلِه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا أردتَ أن تعرجَ روحكَ إلى خالقكَ وتسمو وتعلو فإنه ورد:
(أنَّ الصلاة مراجُ المؤمن)، فعرجَ بنفسكَ فاطلَع على العالم
الروحي، وخذ لنفسكَ قسطاً وافراً من عالم الروح والمعنى وانهل منه
تصفو وتهفو نفسكَ للحبيب والمشوق، وهذا لا يكون إلا بنيةٌ
صافية، فإننا نعلمُ أنَّ العبادات لا تصحُ إلا بالنية فصيَّرْ نيتَكَ الله وحده
ولا طلبَنَ رباءً أو سمعةً أو رزقاً، والمهمُ منها الثاني، ولذا قيل بعدم
اشتراطِ اللفظ في النيَّة، بل المُرادُ منه القلبيُّ أو قل المعنوَيُّ، وأعلم
أنَّ نية المرء خيرٌ من عمله، وأنَّ النيَّة بابٌ لصحة العبادة.

هذا وإنَّ الصلاة صلَّةُ العبدِ بربِّه، فإنَّ انقطعت انقطعت الصَّلَاةُ
 وإنْ دامت دامت الصَّلَاةُ، وإنْ قُبِّلتْ قُبْلَ ما سواها وإنْ رُدَّتْ رُدَّ ما
 سواها، فلا يمكن أن تكون صلَّتكَ بحالكَ مقطوعةً وأنْ تتقربُ
 إلى بعادات أخرى كالصوم أو الحج أو غيرها، فقوّ صلَّتكَ بربِّكَ
 فهو الغفورُ الرَّحيمُ ذو الفضل العظيم، وإنْ شئتَ أن يكون بينك وبين
 ربِّكَ واسطةً -لو صَحَّ التعبير- كصلاة الجماعة فاخترَ مَنْ يكون ذا
 صلَّةٍ جيَّدةٍ وإلا فلا، هذا -وكما تعلمون- فإنَّ التعبير للصلوة من
 هذه الناحية قِسماً: صلاةٌ مُفردةٌ وصلوةٌ جماعةٌ وكلاهما صلَّةٌ بربِّ
 العالمين، والثانية مثل صلاة العيدين والجمعة وكذا في الصلوات
 اليومية وصلوة الآيات وصلوة الخوف وما إلى ذلك من الأمثلة.

وطبعاً لسنا هنا بصدِّ عَدِ الواجب والمُستحب فلعلَّ أكثرَكم
 يعرفها وخصوصاً اليومية منها، ومما يجبُ أن يُعلم هو أنَّ أعدادَ
 الصلوات اليومية المُستحب ضعفُ الواجب منها، وهو إنَّ دلَّ على
 شيءٍ إنما يدلُّ على التركيز والأهمية البالغة لهذه الصلوات فلا
 تتهاونوا بها بل اسعوا شيئاً فشيئاً إلى الالتزام بها، وخصوصاً لمن
 يدعُى أنهُ من جيش الإمام المهدي عليه السلام وسهل مخرجِه، فعلى
 المُدعَّي البَيْنة، أيَّ أن يكون في مجتمعه غيرُ مُراءٍ ولا طالبٌ للدنيا،

مُتَمَسِّكٌ وَمُلْتَزِمٌ بِالصلواتِ اليومنيةِ الواجبِ منهاِ والمستحبِ علىِ حدٍ سواء، وحيثُ حددَتُ بالصلاحةِ لأنها داخلةٌ في موضوعنا وستتكلّمُ عنِ الإلتزامِ بالباقيِ في خطبٍ أخرىِ إنْ بقيَتُ الحياةً. عموماً، فإنه قد وردَ في النوافلِ اليومنيةِ بما معناه أنها تسدُ النقصَ الحاصلَ في الفرائضِ أيِ الصلواتِ اليومنيةِ الواجبة، فإنْ صليتها سُدَّ النقصِ وإلا بقيَت ناقصة، فاتقوا الله وكمَا تسعونَ للدنيا إسعوا إلى الآخرة، وشتان بين السعدين، وإنَ الله وإنَ اليه راجعون والعاقبةُ للمتقين.

واعلم أنك إن كنتَ تقىً فإنه ورد: ان الصلاة قربان كل تقى، فلا تتکبر عليهما، واعبد ربک حتى ولو أتاك اليقين، إن لم نُفسِّر اليقين بالموت، فلا تستکبر عن عبادته، بل كُن خاشعاً خاصعاً، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ، لَا يَسْتَكِنُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحِسِرُونَ﴾^(١)، بل اعلم أن البعض وخصوصاً من أهل الباطن قد شرطوا الخشوع في الصلاة، وما لم يكن فيها خشوع فهي وإن كانت مُجزية إلا أنها بالمعنى الأخلاقي أو الباطني غير مقبولة، فإنك إن ادعَيتَ وصولاً فالوصولُ أن تخشع

لأن تهجه، هذا وقد قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ
الْمُؤْمِنُونَ ١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ^(١)، وأذكّركم أيضاً
بقوله تعالى: ﴿أَللّٰهُمَّ يٰأَنْ لِلّٰهِذِينَ مَا آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَّلَ
مِنَ الْحٰقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالْذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلٍ فَطَالَ عَلٰيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتَ
قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسَقُوْتَ^(٢)﴾.

هذا وإن الصلاة ذكرًا لله جلّ وعلا، فإنك إن لم تذكره في خارجها وجب عليك ذكره فيها لو صح التعبير، ولذا قيل: (إنَّ ذكر الله أكبر)، كما في الآية الشريفة التي تقول: ﴿أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَبِ وَأَقِيمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٣)، فلماذا أصلى فأنا أذكر الله خارج الصلاة وهذا الذكر أكبر، قلنا: إن كان الذكر أكبر فهو موجود في الصلاة والجمع بين الذكر والصلاحة أكمل وأولى بطبعية الحال.

١- سورة المؤمنون: آية ١ - ٢.

٢- سورة الحمد: آية ١٦.

٤٥- سورة العنكبوت: آية ٤٥

عموماً فإنَّ الآيات الكثيرة التي تدل على وجوب الصلاة وكذا الروايات تدل على التركيز عليها وإنها محبوبة لدى الشارع، وهناك الكثير من الروايات التي تَحُثُّ على الصلاة المستحبة وتركز عليها أيضاً، بل إنَّ الصلاة الواحد والخمسين أي (النوافل اليومية) من علامات المؤمن، ومع شديد الأسف نرى الكثير ممن التزموا بزيارة الأربعين وتحمّوا باليمين، إلا أنَّ جباههم بعيدة عن السجود لله في مثل هذه الصلوات، فإنهم يحسبون أنهم يُحسّنون صنعاً ألا ساء جهلاً ومقتاً، فإنهم يفعلون ما يروق لهم ويتركون ما لا يروق لهم، وكأن لهم الخيرة في ذلك. صحيح إنها مستحبة، لكن ليس في كل مرة تخтарها وفي كل مرة ترك النوافل، عجباً! اختر أحسن الفردان إن لم تستطع الجمع.

هذا وإنَّ الصلاة لها المعاني الروحية والباطنية الكبيرة، ولعلَّ منها بل أو يوضحها، أنها تضم على عدد كبير من السجود، ومعنى السجود - كما قلنا في موارد سابقة - هو الإنقياد والطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى، وكم هي معانٍ سامية، تلك التي تربط العبد بربه. ولا نكتفي بهذا الحد، صحيح لا يمكننا الخوض في دقائق الأمور

فإنني مُقيِّد ببعض الأمور حتى تكون الخطبة مفهومة للجميع، فلذا بقيَ علينا التنوية لأمرٍ ذي صلة:

الأول: إنَّ الصلاة وخصوصاً بمعناها الأولى وهي الدعاء أو أقل مُطلقُ الذكر غير مُختَصَّ بالإنسان بل تعمُّ الجميع، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿أَلمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ لَهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرُ صَفَقَتْ كُلُّ قَدْ عِلْمَ صَلَانَهُ وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِمَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، فقد خشت الأصواتُ للرحمن فلا تسمعون إلا همساً، فكلُّ مخلوق له صلةٌ الخاصة بخالقه جلَّ جلاله، فقد خلقَ كُلَّ شيءٍ وقدرَهُ تقديرًا.

الثاني: هو أيضاً ذو صلةٍ في الصلاة، وهو مكانُ المُصلِي، وهذا أيضاً لهُ القدسية ولذا اشترطَ فيه الطهارة المعنوية والمادية وأن لا يكون مغصوباً أو مكاناً مُبتدلاً وما إلا ذلك من الشروط، فراجع، ومن أفضل أماكن الصلاة والعبادة، هي المساجدُ والمرافقُ المقدسة، فلعلنا نجدُ أنَّ الناس قد عزَّفت عن ذُور العبادة أنفسهم إلا في يوم الجمعة فليس ما يفعلون، فأحيوا ذكر الله وأحيوا مساجد الله إن صحَّ التعبير، وأحيوا الصلاة فيها بل والكثير من العبادات كالتسبيح

والتعليق والدعاء والاعتكاف وغيرها، هذا وإنَّ الأذان في ذاته هو ذكرُ الله فاذكروا فيها الله كثيراً واذكروا فيها رسول الله وأهل بيته فهم صلَّتنا في الله وهم أئمتنا وهم حُججُ الباري على الخلق وأمناءُ الله في البلاد، فو الله إنَّ خير العمل هو طاعتهم ومحبتهم وهم بابُ العلم،
وكمَا قال الشاعر:

مُطهِّرون نقياتٌ ثيابُهم تجري الصلاةُ عليهم أينما ذُكروا

الصوم

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمد وآلها وأجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في خطبة سابقة قد أعطينا بعض التفاصيل التي تتعلق بالصلاحة وما فيها من معانٍ ظاهرية وباطنية على حد سواء، وفي هذه الخطبة أحببت أن أعطيكم بعض المعانٍ لعبادة أخرى، ألا وهي الصوم، تلك العبادة الروحية والجسدية التي تُزيل كل الآثام والأدران، في تلك العبادة التي لا يطلع عليها أحد إلا الله ما لم يقصد الرياء فيها، ولذا ورد: (الصوم لي وأنا أجزي به)، فهي عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى، وهي لا تقتضي الفعل بل الترك، أي ترك الطعام والشراب

وباقى المُفطرات عموماً.

ولذا يُعرَّف الصوم في الكتب الفقهية أو الاستدلالية، بأنَّه الكفُ عن المُفطرات أو تركها، وبطبيعة الحال فإنَّ الترك يمكن أن لا يطلع عليه أحد، على عكس الفعل فإن اطلاع الآخرين عليه أسهل أكيداً، لذا فهو عبادة يقلُ فيها الرياء إلا لمن تعمَّده، وسيذهب بكلِ الثواب الدنيوي والأخروي على حدٍ سواء. واعلم أنَّ الجسد على طول أيام السنة يتغذى على أنواع الطعام والشراب ولا يترکن شيئاً من المُفطرات - لو صحَ التعبير - وبما أنَّ الإنسان غير معصوم عن الخطأ والنسيان والسهو والغفلة، فقد ناله من هذه الدنيا الدينية بعض مُحرمات الطعام والشراب، فلذا يحتاج إلى تصفية جسده من الأدран والآثام التي إن تراكمت تراكمت معها الآثار السلبية والنتائج التسافية، وما من مُزيل لها على الإطلاق.

وليس هذا فقط فإنَّ الإنسان وكما أثبتته العلم الحديث بحاجة إلى التبديل وإزالة الروتين اليومي الذي يسيرُ عليه طيلة السنة من أكثر من ناحية، فتبديل هذا النمط اليومي فيه فوائدٌ صحية وإنجتمعية جمَّة لا يطلعُ عليها إلا ذوو الإختصاص وأهل الخبرة، فأسألكم لعلمكم تهتدون.

إضافة إلى أنَّ الإنسان يحتاج إلى الاختبار بين الحين والآخر، سواء في ذلك الاختبارات الجسدية أو المعنوية أو الباطنية، وعلى الصعيد الدنيوي والأخروي، لذا فإنَّه بحاجةٍ إلى الصيام، فهو بمثابة اختبار للمتعلق بالدنيا أو قل للمتعلق بالطعام والشراب وبباقي المُفطرات - لو صَحَّ التعبير - أو قل بمعنى من المعاني: إنَّ الإنسان لكثره انغماسه بالطعام والشراب قد يتعود على هذا النمط الدنيوي، فالصوم يُذْكِرُهُ باخترته وإنَّ الدنيا ليست كُلَّ شيءٍ، فيوماً للطعام ويوماً للصيام أو يوماً للدنيا ويوماً للآخرة، فمن استطاع أن يجعل أيام الآخرة أكثر من أيام الدنيا فظوبى له وحسن مآب.

أي يمكننا القول أنَّ الصيام تذكيرٌ واختبارٌ آخرٌ، مضافاً إلى فوائده الدنيوية والجسمانية والصحية على حد سواء، فإنَّ أردتَ الدنيا ففيه فوائد دنيوية وإنَّ أردتَ الآخرة ففيه فوائد أخرى، وبخَ لمن طلب الآخرة وترك الدنيا.

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أنَّ الصيام يمكنُ أن يكون تذكيراً للغني بما يمرُّ به الفقير، الذي لا يملك الطعام والشراب، ولذا فإنَّ الصدقة مستحبةٌ فيه وخصوصاً في ليالي شهر رمضان المبارك، هذا وإنَّ شهر رمضان (شهرُ الصيام) إنما سُميَ بذلك للتذكير بالرمضان

وهو الحرُ الشديد أو كثرة الحر، أو قل بمعنى من المعاني كثرة البلاء ومنه شدَّة الجوع أيضًا، أي يكون مذكًراً ببلاء الآخرة وبلاء الدنيا معاً.

كلُّ هذه صفات وميزات جمعتها تلك العبادة المقدسة التي تدفع كثيراً من بلاء الدنيا وعقوباتها، وتعطيك ثواباً وأجرًا عظيمًا، واعلموا أنَّ هذه العبادة تُبعدُ الكثير من المحرمات وتجنبك إياها. فيا شبابَ المسلمين لا تهجروا تلك العبادة المقدسة فإنَّ فيها الفضل الكبير، وإلا لما جعلها الله جنةً من النار، كما ورد: الصوم جنةٌ من النار، أي تحميك ناراً حامية، فاتقوا الله وأطيعوا تهتدوا.

وانظر إلى الشعائر المتعلقة والمتداخلة مع الصوم فكثرة الدعاء والتسبيح والأعمال العامة والخاصة في ليالي القدر بل أكثر من ذلك، فإنَّ الكثير من الأمور الدنيوية تكون عبادة، ألم تسمع ما ورد: (نوم الصائم عبادة، وأنفاسه تسبيح)، فأي خير أكثر من ذلك، فبدلاً من أن تُثقلَ على نفسك الأمارة بالسوء وتُسبِّح أو تذكر الله، فإنَّ الله بفضله ورحمته ولطفه جعل نومك عبادة وأنفاسك تسبيح، فماذا تبغي بعد ذلك؟

هذا وهنالك متعلقاتٌ أخرى لهذه العبادة مثل الإعتكاف

المشروط بالصيام، فلا اعتكاف إلا به، وكل هذه الأمور ومتعلقاتها إن دلت على شيء إنما تدل على أهمية هذه العبادة، وإن دلت على شيء إنما تدل على محبوبية الصوم عند الله سبحانه وتعالى، فما كان محبوباً عنده كان مرغوباً عند المؤمنين، لكن مع شديد الأسف فإننا نرى أن المجتمع قد اقترب إلى أمور دنيوية وابتعد عن أمور عبادية أخرى، فكل العادات باتت مجهلة متروكة وإن الله وإننا إليه راجعون، وكل هذا يؤدي إلى تفكك المجتمع وانغماسه في الدنيا والذلة.

هذا ولا يفوتنا أن نقول أن ما يمر به المجتمع بل المجتمعات عموماً من شدة البلاء وعصف الفتن والصراعات إنما هو نتيجة لهجران ذكر الله وترك العادات والطاعات والتقرّب إلى الله وبات الترّلف إلى الحُكّام وكبار المجتمع هو الطابع العام، متناسين أن لا أكبر من الله شيء، فمهما كبرت ومهما علوت، فإنك بحاجة إلى صلةٍ مع الله ولا صلة إلا مع العبادة، إن قطعتها قطعت الصلة وإن أدمنتها دامت، ومعها تدومُ ألطافُ الله وبركاته ورحمته وفيوضاته. عموماً أورد لك أمراً هاماً، فإنك إن لم تسمع قول الشاعر فيها أنا أخبرك به، حيث قال:

ولو أن عبداً أتي بالصالحات غداً
وودَ كلَّنبي مُرسلاً ولوي

وعاش ما عاش آلافاً مؤلفة
حالٍ من الذنبِ معصوماً من الزلل
وقام ما قام قواماً بلا كسل
وصام ما صام صواماً بلا ملل
إلى أن يقول...

فليس ذلك يوم البعث ينفعه إلا بحبٌ أمير المؤمنين علي

صلوا على محمدٍ وآل محمد....

ففهم من هذا علاقة حب آل البيت بقبول العبادة، هذا وإن
التقرب إلى الله وصفاء النية ومحبة الرسول وأهل بيته من مقومات
العبادة أيّاً كانت، فلا فرق بين عبادةٍ وأخرى من هذه الناحية،
 فأصحابُ الكساء ما خلقت سماءً ولا أرض إلا من أجلهم سلام الله
عليهم أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار هم أمناء الله في البلاد،
 فتمسّكوا بحبهم ونهاجمهم إلى يوم الدين.

الخمس والزكاة

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلٍه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في هذه الخطبة نُكمل ما بدأنا به وهو شرح معنى العبادات واحدة تلو الأخرى من بعض النواحي المادية والأخلاقية والظاهرية والباطنية، ولذا فإننا وفي هذه الخطبة بالتحديد نشرح معنى العبادة المالية والتي تنقسم إلى عدة أقسام، ومنها:

أولاً: زكاة الأموال.

ثانياً: زكاة الفطرة.

ثالثاً: الخمس.

كما هو مدرج ومبيّن في الرسائل العملية وغيرها من الكتب

الفقهية التي يجب على المجتمع الإطلاع عليها وكل بحسب فهمه بطبيعة الحال، وخصوصاً أن ديننا الحنيف ومذهبنا العظيم يتعرض إلى هجمة شرسة وقحة من الكفار والمرشحين أعداء الدين الحنيف، فبات شبابنا بعيدون كل البعد عن فقههم وعقيدتهم مع شديد الأسف وفي خضم سكوت الجميع وتحولهم وخوضهم في المهم وترك الأهم.

عموماً فإن العبادات المالية لا يمكن أن تتصورها عبادة مُتدنية، فنحن لا ننظر إليها من الناحية المادية المُتدنية، وخصوصاً إنها بذلٌ مالٍ وليس جمْعٌ مالٍ، وفي البذل كرمٌ وفي الجمع بخلٌ أو حرامٌ.

إذن، هي عبادة ذات معانٍ سامية بل إن الزكاة في اللغة هي التطهير أو من تزكية النفس والمال (أي تطهيره)، وطبعاً تزكية النفس تقتضي تزكية المال فتكون تزكية المال جزءاً هاماً من تزكية النفس، فإن من لم يقم بالعبادات المالية سواء الزكاة التي قرنت مع الصلاة في آيات كثيرة، منها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أُولَئِكَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْسِمُونَ الْأَصْلَوَةَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْسِمُونَ الْأَصْلَوَةَ وَيُؤْتُونَ الْزَكَوةَ وَيُطْعِمُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ لِتِكَ سَيِّدِهِمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الْرَّكْعَةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ﴾^(٢).

أو حتى الخامس الذي نص عليه في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ مُحَمَّدٌ وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ إِمَانَتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النَّقَ�ةِ الْجَمِيعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، فمن لم يخمس أو لم يُزرِكَ فإنَّ أمواله محَرَّمة، وإنَّ هذه العبادة تُظهرها بل إنَّ الكثير من العبادات وأهمها الصلاة متوقفة على الإتيان بها وخصوصاً الخمس، فإنه لا يجوز الصلاة بثياب غير مُخمسة أو بيوت غير مُخمسة وما إلى ذلك.

هذا وإنَّ هذه العبادة المالية فيها فائدة جَمِّة قد تُسمى بالإصطلاح الحديث بـ: (التكافل الاجتماعي) أو (التكافل المادي) أو قل: إلغاء الطبقية المادية التي تقضي أن يكون البعض ذا غِنى

١- سورة التوبة: آية ٧١.

٢- سورة النمل: آية ٣.

٣- سورة الأنفال: آية ٤١.

فاحش والآخرون ذا فقر مُدعَّع إلى أبعد الحدود، فأين العدل من ذلك! وفي نفس الوقت هي بعيدة كل البعد عن المعاني المنحطة التي تُعطيها الرأسمالية والإشتراكية، فإنهم يجعلون الأصل في كل شيء المادة والإقتصاد، والإسلام يجعل من الأمور المعنوية السامية هي المقدمة.

وطبعاً لا ننسى أنه ورد: (كاد الفقر أن يكون كفراً). إذن، الزكاة والخمس الواجبان والصدقة المستحبة التي أهم أقسام العبادات المالية المستحبة والتي قد تجب في بعض الأحيان، فإن كل هذه الأقسام تكون مقدمة لزوال الفقر وبدوره يكون مزيلاً للكفر بطبيعة الحال، لكن بشرط عدم الإفراط بالغنى، وهو لا يمكن مع فرض القيام بهذه العبادة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الخمس يجب في كل شيء وخصوصاً بعد أن يكون معنى الغنية هو الكسب، فيعم جميع أصناف وأنواع الغنائم المُحللة بطبيعة الحال لا المسروقة فلا خمس بها بل إنَّ المال المُحرَّم لا خُمس فيه إلا بدفعه أجمع. وأما زكاة المال ففي الأنعام والغلال والنقدين وتجب بنسبٍ معينة كما هو مشرح في محلها فإن الدخول بالتفاصيل يُخرجنا عن نطاق

الإختصار ويجرّنا إلى التعقيد في فهم العبارة، فلذا أرجو منكم المراجعة قدر الإمكان وإلا فإنكم تتركون أحکامكم من أجل دنياكم وهذه جريمة كبرى.

وأما زكاة الفطر فهي التي تُخرج في عيد الفطر كما أتمنى أنكم تعلمونه، لكن بقي أمر مهم في موضوع زكاة المال، ولعله أمر قد انقرض مع شديد الأسف، ألا وهو العاملون أو الجبّاء فإنهم كانوا موجودين في صدر الإسلام ألا وهم جبّاء الزكاة والعاملين عليها وهم الذين يستحصلون الزكاة ممن وجبت عليهم بصورة وأخرى ويسعون إلى تسجيلها بسجلات كما هو المتعارف في حينها، وكان الأمر مهمًا حيث أنَّ أغلب الأموال كانت مما يجب فيها الزكاة وخصوصاً الأنعام الثلاثة والنقدين.

أما في أيامنا هذه فلا اعتناء في هذه الفرضية حالها حال جميع الطاعات والعبادات التي انقرضت وستنقرض شيئاً فشيئاً مع وجود الحروب الإرهابية المعادية للإسلام، وعدم وجود من يدافع عنها إلا الخوض بالسياسة وما إلى ذلك من الأمور الدنيوية التي لا يعلمها إلا الراسخون بها.

قد يقال أنَّ أمر جبائية الزكاة راجع إلى أمر الحاكم الشرعي،

قلنا: نعم، فلذا أدعو سادتنا وقادتنا ومراجعنا الكرام إلى إحياء هذه الشعيرة وبالطرق التي سار عليها خير الخلق أجمعين محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى أهل بيته أجمعين.

وحسب فهمي فإنه لا إكراه في مثل هذه الأمور وخصوصاً أننا نعلم أنه لو ادعى صاحب المال بأنه لا زكاة في ذمته لكونه قد أداها أو لم يجنب وقت وجوبها وما إلى ذلك من الأعذار صدّق، ويترك إلى حال ضميره كما يعبرون، ولا أقل من التجربة فإن نجحت فيها ونعمت وإن فقد أبرئنا الذمة أمام الله وأمام مجتمعنا، وإن لا يمكن تثقيف عشائرنا العزيزة على الديمقراطية ولا نتفهم على أمورهم وواجباتهم الدينية والعبادية، وهي مطلوبة أولاً وبالذات. (ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد).

الحج

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلِه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
 فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَا تَقْعُلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
 وَتَكَزُّوْدُوا فَإِنَّكُمْ حَيْرَ الْأَرَادَ الْقَوَى وَأَنَّقُونِ يَتَأْوِلِي الْأَلَبَبِ﴾^(١).

هذه الآية أوردنها بمناسبة وصولنا إلى شرح عبادة أخرى من العادات العشر، أو قل فروع الدين العشرة التي أولها الصلاة وآخرها موالة الأولياء ومعاداة الأعداء، وسيأتي ذلك في محله إن

بَقِيتُ فِي الْحَيَاةِ.

عموماً، فإنَّ الحجَّ هو القَصْدُ في اللُّغَةِ، وطبعاً هنا هو القَصْدُ إلى بيت الله الحرام، لِيُقِيمَ مناسكُه على الوجه المخصوص، وهذا لا يكون إلَّا بالسير على الأرض أو السفر، فهو نوعٌ من أنواع القَصْد المادي، فهناك سُفُرٌ وسِيرٌ معنويٌّ، كما في السير إلى الله، أو كما في

الآية الشريفة: ﴿فَرِّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(١).

إنَّ الفرار هنا معنوي ولا يمكنُ أن يكون مادياً فالله أعلى وأجل. وفي مقامنا هذا أو قُلْ في العبادة التي نحنُ بصدقها يأتِي كلا الأمرين القَصْدُ الماديُّ والقصَدُ المعنويُّ، فأنتَ تقصدُ الكعبة الشريفة فهذا قَصْدٌ ماديٌ وتقصدُ طاعة الله ورضاه فهذا قَصْدٌ معنوي لا شَوْبَ فيه، وهذا يمكنُ أن يكون جواباً لمن يُحرِّم زيارة المعصومين، فنحنُ أبناء المذهب لا نقصدُ بالزيارة الأمور المادية بل رضا الله سبحانه وتعالى والتقرُّب بهم إلى الله جلَّ وعلا، فقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَاَسْأَلُكُمْ عَنِيهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً تَزِدُّهُ وَفِيهَا حُسْنًا إِنَّ

اللَّهُمَّ غَفِرْ شَكُورْ كَبِيرْ .^(١)

هذا وإنَّ السَّيِّدَ الْوَالِدَ قَدِيسَتْ فِي كِتَابِ فَقِهِ الْأَخْلَاقِ الْجَزْءِ
الثَّانِي ،^(٢)

أَوْرَدَ أَبِيَا تَأْ شُعْرِيَّةَ بِهَذَا الصَّدَدِ تَقُولُ :

أَمْرُ بَذِي الدِّيَارِ دِيَارَ لِيلِي أَقْبَلَ ذَا الْجَدَارَ وَذَا الْجَدَارِ
وَمَا حَبُّ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حَبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا
وَلَذَا إِنَّ الَّذِينَ يَتَهَمُونَا بِأَنَّا عَبَادُ أَصْنَامٍ مَرْدُودُّ قَوْلُهُمْ، إِنَّا إِنْ
قَبَلْنَا الْأَضْرَحَةَ فَلِأَجْلِ مَنْ دُفِنَ فِيهَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا
الْكَعْبَةُ فَهِيَ رَمْزٌ أَوْ قُلْ الْوَجُودُ الْمَادِيُّ لِلتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الَّذِي جَاءَ
بِالإِسْلَامِ، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ حِينَما قَالَ : ﴿إِنِّي وَجَهْتُ
وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾.^(٣)

هذا وإنَّ السَّيِّدَ الْوَالِدَ قَدِيسَتْ قَالَ بِمَا نَصَّهُ : (وَبِالْتَّالِي تَمَثِّلُ الْكَعْبَةُ

١- سورة الشورى: آية ٢٣.

٢- الصدر، محمد، فقه الأخلاق، الجزء الثاني، ص ١٢٦.

٣- سورة الأنعام: آية ٧٩.

بنحو الرمز: الوجود الإلهي، فيكون إظهار الإخلاص لها إظهاراً للإخلاص والتوحيد، أقول: فكذا لمسها وتقبليها فهو إظهار المحبة للإخلاص والتوحيد^(١).

ثم لا أنسى أهم متعلقات الحج، ألا وهو الإحرام وهو أيضاً ينظر بمنظارين: مادي، ألا وهو الذي يكون بالتلبية أو لبس ثوب الإحرام أو غيرها من المعتنفات الشرعية، أما معنوياً فهو التحرر من الأمور المادية بل الدنيا أجمع والتحلّي بالإخلاص والتوحيد والإيمان، بل يمكننا أن نقول هو ترك الشهوات وترك حب الدنيا، ولذلك فإنَّ لبس زينة الإحرام فيه نحو زهد ونزع حب الدنيا والتقليل منها وما إلى ذلك من الأمور.

و هنا أورد لكم بعضاً مما قاله السيد الوالد^ـ في فقه الأخلاق عن موضوع الإحرام وتفسيره معنوياً: (وهذا يعطي بحق رمزية واضحة عما يجب أن يكون الفرد عليه في سائر أيام حياته من الالتفات إلى تقديم رضا الله عز وجل على مصلحته وأطماعه وشهواته ونزواته فليس ينبغي أن يحول دون هذا السبيل حائل أو أن

١- الصدر، محمد، فقه الأخلاق، الجزء الثاني، ص ١٣٦.

يُعيقَ الفرد أيّ عائقٍ في جميع أعماله وأحواله خاصةً وعامة^(١). لذا فإنني ومن على هذا المنبر أدعو كلَّ المؤمنين وخصوصاً أفراد جيش الإمام المهدى عليه السلام إلى نزع حبٌّ الدنيا من قلوبهم وإلى تقديم رضا الله على مصالحهم الشخصية وشهواتهم وأطماعهم ونزاواتهم، وأن يفعلوا كلَّ ما بوسعهم لأجل ذلك ليكونوا بحقٍّ مصداقاً جيداً لجند الإمام عليه السلام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْنَ مِنْهُ
اللَّهُ وَرَسُولِهِ إِلَى الْأَنَاسِ يَوْمَ الْحَجَّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ، فَإِنْ شَاءُتْ مُهْرُبًا حَيْثُ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّتُمْ فَأَعْلَمُوْمَا أَنَّكُمْ عَيْرَ
مُعْجِزِي اللَّهِ وَيَشَرِّي الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢).

فإنَّ في هذه الآية كلمة أودُّ بيانها لترابطها بموضوعنا هذا وعبادتنا المقدسة هذه، والكلمة هي: (الحجُّ الأكبر)، وحسب فهمي فإنَّ العبادة المعروفة والمناسك المعروفة هي الحجُّ الأصغر، كما فيجهاد الكفار والمنافقين فهو جهادٌ أصغر وجهادٌ النفس جهادٌ أكبر، وأما الحجُّ الأكبر فهو يتحمل احتمالين:

١- الصدر، محمد، فقه الأخلاق، الجزء الثاني، ص ١٣٠.

٢- سورة التوبة: آية ٣.

الأول: يوم إكمال التبليغ، أي يوم الغدير، أو قل تنصيب الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والمؤمنات روحى وأرواح العالمين له الفدا، كما ذكره السيد الطباطبائى ثالثة في تفسيره بل غيره أيضاً، فيمكنك المراجعة.

الثاني: إن المقصود من الحج الأكبر هو: يوم الإبلاغ والإذان وهذا ينطبق على يوم الظهور، ظهور مولانا وقائدنا ورئيسنا الإمام المهدي عليه السلام ولو على سبيل الأطروحة، فهو يوم الإذن له بالظهور وهو يوم تبليغ له وللجميع، أي تبليغ من الله بالظهور، وهو بدوره يبلغ الجميع بالدين الحقيقى ويقوم بالسيف فيزيل الظلم والجور والإعوجاج والأمْت، ويقيِّم العدل والمساواة.

ولعل هناك ترابطآ آخرآ بين الحج الأصغر والأكبر، وهو ما ورد بعض الروايات بأن الإمام المهدي وكذا بعض أصحابه يظهرون في الحرم الشريف وقرب الكعبة المُشرفة، ولذا فإن المؤمنين سيجتمعون بغير ميعاد في السنة التي يظهر فيها الإمام - أكتر - (بغير ميعاد) وإلا لكان كبيرة من الكبائر فيه كشف سر وهو يوم الظهور، ومعه يزداد الخطر عليه سلام الله عليه، وهذه جريمة لا تُغتفر.

الجهاد

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمد وآلها وأجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿وَالَّذِينَ جَاهُدُوا فِي نَحْنُ نَهَيْنَاهُمْ سُبُّنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾،
 فمن هذه الآية نبدأ موضوعنا الأساسي الذي أخذناه على عاتقنا منذ
 أكثر من جمعة في ضمن سلسة لشرح عباداتنا المقدسة، ومن هذه
 الآية بالذات نستوحى الكلام عن عبادة لولها لما حفظ الإسلام من
 الهجمات الداخلية والخارجية على حد سواء.
 هذه العبادة التي ذرأت الخطر عن بلداننا وعقيدتنا وأفكارنا

وفي نفس الوقت جَعَلَتْ من الإسلام موجوداً في العالم أجمع ليكون مبعثاً هداية للجميع، ويكون مبدأ للحوار مع الأديان والطوائف الأخرى، فعباداتنا عبارة عن جواهر مكونة يفقهاها الكثيرون ويجهلها الأكثر مع شديد الأسف، فاتقوا الله ولا تموتون إلا وأنتم متلقون.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُونَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَى عَذَابٍ السَّعِيرِ﴾^(١).

فلذا أدعو الجميع للتفقه في دينهم وتفهمه، لكي لا يكونوا ممن يعبدون الله من دون علم ولا هدى ولا كتاب مُنير، وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَئْرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٢).

عموماً، فإن هذه العبادة هي الجهاد، وهو في حد ذاته ينقسم إلى قسمين رئисين:

١- سورة لقمان: آية ٢١.

٢- سورة الزخرف: آية ٢٣.

الأول: الجهاد الأصغر، وهو جهادُ الكفار ومن لَفَّ لَفْهُم كما يُعبِّرون، وللجهاد الأصغر فرعان:

أولهما: الجهاد الهجومي، وهو الذي يحتاج إلى إذن الإمام في حال وجوده وإلا فإنَّ النائب العام أو الخاص، وهو عبارة عن نشر الوعي الإسلامي وتخلص الناس من الأفكار المشبوهة والمشوهة التي تذرها عناصر الفساد، مضافاً إلى أنه يكون باباً لتخلص الناس من الظلم والديكتاتوريات التي تنشر في البلاد.

ثانيهما: الداعي، وقد يُسمى بالدفاع، وهو لتحصين وحفظ بيضة الإسلام، والدفاع عن المسلمين من هجمات المعتدين الإرهابيين، ومنها المُرابطة في التغور لإبعاد الخطر عن دولة الإسلام في أي بلد من البلدان، وهو لا يحتاج إلى إذن الإمام أو نائبه، بل هو أشبه بدفع المُحارب عن دارك ومنزلك ومنطقتك ودولتك.

وفي كل ذلك يشرط تطبيق قوله تعالى: ﴿ وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(١)، أي أن لا تعتدوا في القتال على النساء والإطفال والشيوخ ومن ألقى إليكم السَّلَمُ، ولا تعتدوا على الأموال والأعراض المصانة، وإلى

غيرها من الأمور الواجب الإلتزام بها وإلا كانت مُخالفة لحدود الله.

الثاني: أقصد القسم الثاني من الجهاد، وهو الجهاد الأكبر، والمقصود به تقويم النفس دينياً وعقائدياً وعلمياً وثقافياً ليزداد الفرد إيماناً، حتى يكون حِصناً حصيناً أمام التيارات الفاسدة والأفكار الخبيثة الغربية، مما يُشيعها أعداء الله.

فأدّعو المؤمنين ممّن أثبتوا ولائهم وطاعتهم لحوزتهم وأثبتو شجاعتهم وإخلاصهم لدينهم ولم يشحّوا بدمائهم واشتراكوا بالجهاد الأصغر متناسين المصاعب تاركين للدنيا ولم تختلط أيديهم بالمحرمات، أدّعوهم إلى الجهاد الأكبر لا بمعنى السلوك الذي إن دخلتموه بلا مرشدٍ زللتُم وإن دخلتموه مع مرشدٍ جعلكم عبيداً، ليكن بمعنى الأخلاق السامية، بأن تطيع الله حقَّ طاعته وأن لا تفعل مُحرماً ولا تترك واجباً وأن تقوم بالمستحبات ما دُمتَ قادرًا وترك المكرورات عن طيب خاطر وأن تقدم الآخرة على الدنيا، وأن لا تُطبق حُكم الله بالطريقة الخاطئة فتفسدَ ولا تُصلح والله لا يُحبُّ المفسدين، فأعينوني أعانكُم الله.

وجزاكم الله خير جزاء المُحسنين، لتكونوا فعلاً من يُمهدُ لظهور قائدنا ورئيسنا الإمام المهدي عليه السلام.

هذا وإنَّ الجهاد الأكْبَر ليضمَّ كثيراً من الصعوبات والكثير من البلاءات والإبتلاءات والاختبارات الدُّنيوية، فمُغرياتُ الدُّنيا كثيرة وصاحبها حتى الممات علِيلٌ، واعلم أنَّ الغربَ الْكَافِرَ جعلَ لأفكاره وأعماله مُغرياتٍ تجعلك ساعياً خلفه، وأنَّ بعض المحسوبين على الإسلام - مع شديد الأسف - جعلوا من أعمالهم وأفعالهم مَدْعَةً للسخرية أو مَدْعَةً لنفور الناس وابتعادهم عن الدين. لكن لا، فَهُمْ غيرُ محسوبين على الإسلام والإسلامُ منهم براء، بل هم أُناسٌ علمانيون لا يفقهون من الدين شيئاً لكن يرفعون عنوان الإسلام لكي تنطلي أفكارهم على السُّذج من المسلمين ويا للأسف.

ولا يفوتنا أن نقول كما في الحكمة، لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه، فإنه كما يُروى أنه يأتي زمانٌ يكونُ الماسِكُ على دينه كالمسك على جمرة من نار.

وعموماً، فإنَّ البلاءات إذا نجحَ بها الشخصُ زادته إيماناً وإخلاصاً، فلذا يُقال: اللهمَ زدني بـباءً، وإنْ دلَّ على شيءٍ إنما يدل على أنه يطلبُ ازدياد إيمانه بازدياد بلائه.

فابعدوا عن الدنيا ومُغرياتها، ولا تتحجَّجو بأننا نقصدُ القُربة أو أنها ليست من الدنيا، فإنَّ كلَّ هذه الحُجُجُ وغيرها حُجُجٌ لنفسك

الأُمَّارَةُ بِالسُّوءِ لِفَعْلَهَا، كَالذِّي يَتَعَدَّى عَلَى الْآخَرِينَ بِحُجَّةٍ الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ كَتَارَكِ الْوَاجِبِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ
الْبَاطِنِ، كَلَا فَهُذَا الْبَاطِلُ بَعْنَاهُ، وَلَا يَمْتُ إِلَى الْحَقِّ بَصْلَةٌ، فَأَوْصِيكُمْ
وَنَفْسِي بِتَقْوِيَةِ اللَّهِ فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَّةِ وَلَا تَخْدُعُوا أَنفُسَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي نُفُسِكُمْ وَهُوَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ نُفُسِكُمْ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)

وَكَذَا قَوْلُهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: **﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّيَنَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ
وَإِذَا قَامُوا إِلَى الْأَصْلَوَةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكَّرُونَ اللَّهُ إِلَّا
فَلَيْلًا﴾**^(٢).

١- سورة البقرة: آية ٩.

٢- سورة النساء: آية ١٤٢.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلِهِ أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نُكملُ ما بدأنا به من خطبٍ سابقة من تبيين وتوضيح معنى العادات وشرحها قدر الإمكان من الجهتين المادية والمعنوية، كما حاولنا سابقاً وسنحاول لاحقاً إن وفقنا إلى ذلك، وقد وصلَّ بنا المطافُ إلى فريضةٍ أخرى وعبادة مقدسةٍ أخرى، وقد تشرك بالعبادة السابقة بنحو من الأنحاء بل مع مطلق ما تقدم. فاعلم أنَّ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر وهو موضوعنا لخطبة هذا اليوم، وينقسمُ إلى قسمين رئисين:

الأول: العملي، وهو ما يكون عن طريق الفعل لا اللُّفظ، كالذي

يقوم بالصلاحة لكي يُبَهِّ الآخرين أنَّ وقت الصلاة قد حان أو ليأمرهم بالصلاحة وينبهُم على وجوبها، وهنا أُنْقَلُ لكم فحوى روایةٍ عن الإمامين الحسن والحسين سيدِي شبابِ أهل الجنة روحِي وأرواحِ العالمين لهما الفدى، وأكثُرُ من يستفيد من هذه الرواية هم مَنْ يُطِّبِّقُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايَةِ الْمُنْكَرِ بالصورةِ الغيرِ الصحيحةِ والتي تُشَوِّهُ سُمْعَةَ الْإِسْلَامِ.

وفحوى الرواية: أنَّ الحسن والحسين عليهما أثناء سيرهما وَجَدا رجلاً كبير السن يتوضأ، لكنهما وَجَداً أنَّ في وضوءِه خللاً، لكن حيائهما وأدبهما وما رَبَاهُمْ جَدُّهُما صلواتُ الله عليه وعلى آله وأبويهما وأمهما (عليهما سلام الله) أدباً منعهما من أن يُسِبِّا له الإِحْرَاج، لذا فإنَّهما توصلَا بعد حينٍ إلى أن يأمراهُ بطريقَةِ أدبيةٍ غير مباشرةٍ، فتحاكمَا لدِيهِ بِأَنَّ يَحْكُمَ لَهُمَا أَيْهُمَا أَحْسَنُ وَضَوْءًا، فتوضاً الحسن عليه السلام أمَّا وَمَنْ ثَمَّ الحُسَيْن عليه السلام، فانتبهَ الرَّجُلُ إِلَى أدبِهِ وأنَّهما بذلك يُرِيدان تصحيحاً وضوءَ فائتِي عَلَيْهِمَا وَمَدحُهُمَا.

لكنَّ لِوَقْعِ هَذَا الرَّجُلِ بِنَظَرِ أَحَدِنَا، فَمَا كَنَا لِنَفْعِلْ، غَيْرَ الْصَّرَاطِ عَلَيْهِ، وَالتَّعْدِي عَلَيْهِ وَقُولُهُمْ (هَذَا الْوَضُوءُ لَيْسَ مَقْتَدَائِيًّا) فَهُوَ باطِلٌ، قاتِلٌ اللَّهُ مُثْلَّهُؤُلَاءِ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَهُمْ

يُزيدون من عَدَاء الناس ولكنهم قومٌ يجهلون.

(حبيبي)، الحسنُ والحسينُ إمامان قاماً أو قعوا، لكن مع ذلك منعهما استحياءهما من أن يأمرأه بطريقةٍ مباشرة، فمن أنت لتعدى على الغير وتأمر الآخرين بما لا يليق، فاعلموا أن أيّ أحدٍ يأمر بالمعروف وينهى عن المُنكر وهو جاهمٌ بتطبيقها وجاهمٌ بالفقه عموماً فهو ليس عدواً لي فقط، بل هو عدو الله ولملائكته ورسليه وأوليائه. فاتقوا الله وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

القسمُ الثاني هو اللغطي: وهو اللساني، كأن تقول: أقم الصلاة أو اترك المُحرمات أو ما شابه ذلك، مُضافاً إلى أنَّ الأمر والنهيَ لهما طريقتهم الخاصة بهما كما هو مُدونٌ في الرسائل العملية تحت عنوان مراتبُ الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، ولكن ليس هذا هو موردُ كلامنا، بل ما أريدُ تبيانه هنا هو:

أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، فريضة لأجل هداية الناس ولأجل صلاح المجتمع، فإذا كانت هذه الفريضة مقدمة لإضلal الشخص أو لابتعاده عن الإسلام ونفوره عن الحق، فيحرم عليك هذا وإنْ كُنتَ مُضلاً ولستَ هادياً، فإنكَ إذا تعديتَ على

الآخرين بالضرب والشتم والصراخ وادعاء المُقتدائية - وأنا براءٌ^أ
منهم بل أبقى صدريًّا فهذا يُشرِّفني - وغيرها من الإدعاءات، كأن
تقول: أنا من (جيش الإمام المهدى) فلا بدَّ عليك أنْ تُطعني، فكلُّ
هذه الأمور تُنفرُ الناس ولا تهدى لهم.

وليس كونكَ من أنصار الحقّ أو من جيش الإمام المهدى
فذلكَ علامَةٌ على أَنَّكَ ذو تسلط، بل يجبُ أنْ تتواضعَ وتتحلى
بأخلاق الحَسَن والحسين سيدِي شبابِ أهل الجنة سلام الله عليهما،
وإلا كنتَ عدواً لهمَا، وكنتَ من أسيادِ أهل النار، فاتقوا الله، يا
قومي مالي أدعوكَ إلى النجاة وتدعونني إلى النار، عجباً عجباً!
وعموماً، إذا أردنا الخوض في شروط هذه العبادة (أي الأمر
بالمعرف والنفي عن المنكر)، فأقول: إنَّ هناكَ شرطين رئيين ولو
ضمناً:

أولهما: أن يكون أمركَ ونهيُكَ مؤثراً في المُقابل، وإلا سقطَ
عنك وجوبُ الأمر بالمعرف والنفي عن المنكر، فبعضُ النفوس قد
ملئها الباطلُ حتى صارت جيفةً نتنةً لا تؤثر بها الروائحُ العطرة ولا
الكلامُ ولا السلام، فمثلُ هؤلاء ما أُعجلهم إلى النار فاتر كهم
يخوضوا ويلعبوا ويُلهِّهمُ الأملُ فسوف يعلمون.

ثانيهما: أن تكون مُتعصّباً قبل أن تحاول وعظ الناس، وإلا فشاربُ الخمر أو تاركُ الصَّلاة أو قليل التفقه لا يأمرُ الناس بالمعروف، بل لن يطعه أحدٌ على الإطلاق، وأولى له أن يأمرَ وينهى نفسه، ومن لم يستطع إبعاد نفسه عن اللذائذ والمُحرمات فكيف يُبعد الآخرين؟! بل إن حاولَ كان مُفسداً وفاسداً.

فلذا فإنني أنصحكم بالتفقه لكي تكونوا آمرين بالمعروف وناهينَ عن المُنكر بالصورة الصحيحة، فإذا انعدمت هذه الفريضة سلبَ اللهُ منا كلَّ خير، كما وردَ في الروايات وبعضها مذكورٌ في هذا الفصل من منهج الصالحين فراجع إنْ كُنتَ ممن يقرأ الكتب.

عموماً، فأنا لستُ ممن يُعطّلُ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر بل ليس لي أن أفعلَ ذلك، فأنا ليس ممن يقولون بتعطيل الفرائض، ويا ربِّ إنْ كنْتُ قلتُ لعلمتُه، تعلمُ ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، ويا ربِّ إنْ قومي تفرقوا وتشتتوا وتصارعوا على الدنيا، فيا ربِّ احشرني والصالحين من أهلي وقومي مع أوليائك الصالحين واحشر المُعتدين منهم وممن قدّموا الدنيا على الآخرة مع من تشاء أو اغفر اللهمَ يا ربَ العالمين، فهم قومٌ لا يعلمون.

التولي والتبرّي

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
توكلت على الله رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلٍ وأجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبما أننا وصلنا إلى خاتمة العبادات ألا وهي (التولي والتبرّي)،
المقصود هنا التولي لأهل البيت سلام الله عليهم والتبرّي من
أعدائهم إلى يوم الدين، اللهم وال من والاهم وعاد من عاداهم
وادر الحق معهم أينما داروا، اللهم اجعلنا من أنصارهم واعوانهم إن
كنا مستحقين لذلك، ربنا واحشرنا مع أوليائك الصالحين وأبعدنا عن
أعدائك في الدنيا والآخرة.

فقد ورد: (إن حبَّ عليٍّ حسنة لا تضرُّ معها سيئة وبغضَّ عليٍّ
سيئة لا تنفعُ معها حسنة)، فإنَّ هذا الحديث إن دلَّ على شيءٍ إنما

يدلُّ على التركيز الشديد على حُبٍّ علىٰ وأهل بيته سلام الله عليهم
أجمعين فهو وصيٌّ رسول الله ﷺ وخليفةٌ من بعده.

بل إنَّه ورد أيضًا عن رسول الله ﷺ: (من أحبَّ علِيًّا فقد أحبني
ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضَ علِيًّا فقد أبغضني ومن
أبغضني فقد أبغضَ الله)، مُضافًا إلى ما ورد: (من أحبَّ علِيًّا قَبْلَ الله
صلاتهُ وصومهُ واستجابَ دُعائِه ... إلى آخر الحديث). وهناك
أحاديثُ كثيرة بهذا الصدد وقد نقلت عن الطرفين، وهنا قال الشاعر:

عليٌ الدُّرُ والذَّهَبُ الْمُصْفَى وباقِي النَّاسِ كُلُّهُمْ تُرَابٌ
إِذَا لَمْ تَبِرَّ مِنْ أَعْدَاءِ عَلِيٍّ فَمَا لَكَ فِي مَحِبَّتِهِ ثَوَابٌ

وهنا أريدُ التنبيه إلى أمرٍ مهمٍ، وهو أنَّ هذه العبادة ذاتُ شقين:
الشق الأول: التولُّ، أو قل محبة أهل البيت سلام الله عليهم،
من أولهم محمد بن عبد الله سيد الكوافر صلوات الله عليهم وسلمه
وإلى آخرهم وقائمهم محمد بن الحسن عليه السلام.

الشق الثاني: التبرِّي، أي بغضُّ أعدائهم وأنْ أتبرأ وأدين
وأستهجن أفعالهم وأعمالهم على الإطلاق، فإنَّ كلَّ عمل يصدرُ من
دون محبتهم بل وبغضِّ أعدائهم يكون عملاً فارغاً باطلًا لا مجال
للإعتراف به على جميع الأصعدة.

هذا وإنْ هناك أحاديث وروايات كثيرة في مدح أهل البيت عموماً، فإنه ورد: (فاطمة بضعة مني فَمَنْ أَغْضَبَهَا فَقَدْ أَغْضَبَنِي)، ومن آذها فقد آذاني)، وورد: (الحسنُ والحسينُ إمامان قاماً أو قعداً)، وورد أيضاً: (حسينٌ مني وأنا من حُسين أَحَبَ اللَّهَ مِنْ أَحَبَ حُسْنِي)، فكلُّ هذه الأحاديث تدلُّ على وجوب طاعتهم ومحبتهم، فغضبهم غضبُ الله ومحبتهم حبُّ الله، اللَّهُمَّ اجعلنا من مُحبِّيهِم إلى يوم الدين.

لكن مع شديد الأسف بما إن انجلت الغربةُ وما إن مرَّت الأيامُ إلا وباتَ هناك فِرقَةٌ ضالَّةٌ مُضلَّةٌ نصبت العداءَ لأهل البيت سلام الله عليهم، حتى أنهم جعلوا من رسول الله ﷺ كبعضهم يُخطأ كخطئهم أو قل يُخطأ ويُصيبُ حاله حال البشر، لكن أَنَّى لهم إثبات ذلك، فو الله هو ذاك الرَّسول الذي عصمه الله من الزلل والخطأ، وإن كان نبينا يُخطأ فما حالنا نحنُ إذن لكتنهم قومٌ يجهلون.

وإنهم ليحتاجون بحججٍ واهيةٍ منها الشرك: فإنهم يتصورون أننا نعبدُهم والعياذ بالله، بل إننا نُحبُّهم ونُطيعُهم وننصرُهم ولا نخذلُهم، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَيَنْهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذْنَنَّ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾

وَيُؤْتُونَ الْزَكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^(١)، وقال في مُحَكْم كتابه أيضًا: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ إِذَا مَنَّا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَاَسْغُلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتِرِفْ حَسَنَةً تَرِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ^(٢).﴾

وطبعاً لم يكتف اعداء الله بذلك، فهم دوماً يجتمعون على باطلهم ونحن دوماً نتفرق عن حقنا. عموماً، فلم يكتف العدو بإرسال النواصي إلى المدن الشيعية وخصوصاً المدن التي تضم مراقد أئمتنا وساداتنا وقادتنا، فكم من مرة أغاروا على النجف الأشرف وكربلاء وكذلك هدمهم لبقيع الغرقد، وغيرها من المجازر التي ارتكبوها بحق أنصار وأتباع أهل البيت.

فإنهم لم يكتفوا بذلك، فقد أرسلوا لنا رأس الأفعى -لو صح التعبير- إلا وهو الثالث المسؤول قاتلة الله، فإنهم أيضاً ممن نصبوا العداء لأهل البيت، إلا أنَّ الأولى يدعى الإسلام والإسلام منه براء، فلا إسلام من دون محبة أهل البيت عليهما، والثانية، لا يدعى إلا الكفر والإلحاد، كما هو معلوم لكل ذي نظر. إلا أنهم سيأن من هذه

١- سورة المائدة: آية ٥٥.

٢- سورة الشورى: آية ٢٣.

الناحية، فيلَّدُعوا ما يشاؤون فإنَّ الإِسْلَامَ مُحَرَّمٌ عَلَى امْتَالِهِمْ قاتلهم الله.

ولا يُقالُ إِنَّا بِذَلِكَ نُبَغِيُ الْفَرْقَةَ وَإِثْرَةَ الطَّائِفَةِ، فَإِنَّا نُجِيبُ: بِأَنَّ
النَّوَاصِبَ أَيَّ مَنْ نَصَبُوا لِعِدَاءَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، هُمْ
خَارِجُونَ عَنِ الإِسْلَامِ وَلَيْسُوا مَحْسُوبِينَ عَلَى أَيِّ مِنْ طَوَافَ
الإِسْلَامِ، بَلْ وَإِنِّي عَلَى يقِينٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَنَّ الْجَمِيعَ بِرَاءٌ مِّنْهُمْ
وَمِنْ أَفْعَالِهِمُ الْسَّابِقَةِ وَالْحَالِيَّةِ وَاللَّاحِقَةِ أَيْضًا، فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْتَدِي
عَلَى مُسْلِمٍ، وَمَا مِنْ أَخْ يَعْتَدِي عَلَى أَخِيهِ، فَكُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ
حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ.

وَلَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَوْ صَلَّوَا الزَّمَانَ كُلَّهُ وَصَامُوا الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ
عَبَدُوا اللَّهَ دَائِمًاً وَأَبَدًاً فَلَا تَنْفَعُهُمْ عِبَادَتُهُمْ بَلْ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَصْلُ سَبِيلًاً، مَا سَأَلُوهُمُ اللَّهُ إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْقُرْبَىِ، أَيْ قُرْبَىِ الرَّسُولِ
وَهُمْ قَدْ أَخْذُوا عَلَى عَاتِقَهُمْ بُغْضَ الْقُرْبَىِ، فَهُمْ يُخَالِفُونَ نَصَّ
الْقُرْآنِ، وَيُغَيِّرُونَهُ تَغْيِيرًا.

وَهُنَا أَيْضًا أَكْرَرُ الْأَيَّاتِ الشِّعْرِيَّةِ:

لو أَنَّ عَبْدًا أَتَى بِالصَّالِحَاتِ غَدًا
وَصَامَ مَا صَامَ صَوَّامًا بِلَا مُلْلٍ
وَحَجَّ مَا حَجَّ مِنْ فَرْضٍ وَمِنْ سُنْنٍ
وَوَدَّ كُلُّ نَبِيٍّ مُرْسَلٌ وَوَلِيٌّ
وَقَامَ مَا قَامَ قَوْمًا بِلَا كُسلٍ
وَطَافَ بِالْبَيْتِ حَافِ غَيْرِ مُتَنَعِّلٍ

ما كان في الحشر عند الله متفعاً
إلا بحبٍ أمير المؤمنين علي
وإلى هنا نختمُ ما بدأنا من شرح لفروع الدين وإن بقينا في
الحياة سنُخصصُ بعضَ الخطيب لشرح أصول الدين الخمسة، فلعلنا
نفعكم ولعلكم تنتفعون، واعلموا أنَّ هناك كلاماً كثيراً لم أذكره
لكي تكون الخطبة سهلةً على المستمع، لكن إن تكامل المجتمعُ
علمياً وثقافياً - كما نحن ندعوه الآن - فسأعيدُ شرحها بطريقةٍ
أخرى والله المُوفق..



أصول الدين

العدل

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
توكلت على الله رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلٍه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لعل البعض يدعي أن لا دليل من القرآن يثبت الأصل الثاني
من أصول الدين ألا وهو (العدل)، أي أن الله عادل لا يظلم أحداً،
لكن يمكننا أن نجيئ به:

بأن نفي الظلم عدل، ونفي الظلم عنه جل جلاله موجود، فقد
قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿مَا يَدْلُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ﴾^(١)، وكذلك قوله عز من قائل: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْنِيدِكُمْ لِلْعَيْدِ﴾^(٢)،

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ^(١)، وَكِلا هذين الآيتين تَدَلُّ على
أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَصْدُرُ مِنْ عَزَّ وَجْلٍ.

واعلموا أنه إن صدر ظلم فهو بسبينا، أو قل لما قدّمت أيدينا، وهذا أيضاً بنص القرآن، كما فهمنا من الآية الثانية التي أوردناها قبل قليل، فلا بد أن تلتفتوا إلى أمر مُهم، ألا وهو: أن مقتضى العدالة هو أن مُثُتاب المُحسِن وأن مُعاقب المُسيء، وهذا مما لا يختلف عليه اثنان، وطبعاً الإحسان له درجات، فيختلف الشواب باختلاف درجات الإحسان، وكذلك الإساءة كما هو معلوم لكل ذي نظر.

ويُنْتَجُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ بَعْضُ الْأَمْوَارِ الَّتِي قَدْ خَفَتْ عَلَى الْكَثِيرِينَ، وَخُصُوصًا مَنْ يَنْظُرُ إِلَى الْأَمْوَارِ بِنَظَرَةِ سَطْحِيَّةٍ مَادِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ، كَالَّذِي يَعْتَبِرُ الْبَلَاءَ الدُّنْيَوِيَّ مُخَالِفًا لِعَدْلَةِ اللَّهِ، مُتَنَاسِيًّا مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ أَعْمَالِ حَيَاةِ تَسْتَدِعِيِ الْعِقَابَ، وَمُتَنَاسِيًّا كُلَّ النَّسْيَانِ بِأَنَّ الْعِقَابَ الدُّنْيَوِيَّ أَوْ مَا يَقْعُدُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعِقَابِ الْأَخْرَوِيِّ، وَخُصُوصًا بَعْدِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى أَنَّ الْبَلَاءَ الدُّنْيَوِيَّ فِيهِ ثَوَابٌ أَوْ قُلْ هُوَ دَافِعٌ لِلْعِقَابِ الْأَخْرَوِيِّ غَالِبًا، وَبِالذَّاتِ لِمَنْ اجْتَازَ الْبَلَاءَ أَوْ الْامْتِحَانَ بِنْجَاحٍ، فَإِنَّ الْمَرْءَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ إِمَّا أَنْ يُكَرَّمَ أَوْ

أن يُهان.

مُضافاً إلى شيءٍ مُهمٍ آخر، قد أغفله الجميع أو الأكثرون بطبيعة الحال، فإنَّ الكثير قد يخلط بين العدل والمساواة بصورةٍ أخرى، فحينما ينظر إلى الآخرين وهم أغنياء أو أصحابٍ فقير أو مريض، ينسب الظلم إلى الله وحاشاه، لكنَّ القصور بعقولنا الساذجة التي لا يمكنها أن تنظر نظرةٍ أخروية مع شديد الأسف، فليس العدل أن يكون الجميع أصحاب العدل أن تكون الصحة لمستحقها والمرض لمستحقه، والفقر لمن يستحق والغنى لمن يستحق، هذا هو العدل بعينه.

ثم لا ننسى، أنَّ الله أعلم بالمصالح أكيداً، فلعلَّ في مرضك مصلحةٌ أنت غافل عنها، فاتَّقِ الله ولا تتكلَّم ولا تخوض بما ليس لك بهِ عِلم فإنَّ السمع والبصر والرؤاد كلُّ ذلك كان عنْهُ مسؤولًا. ثم إذا أردنا أن نتكلَّم بمرحلة أعلى فلا بدَّ على العبد أن يكون مطيناً لمولاه في سرَّاءٍ أم ضرَّاء، فلذا يجب على العبد حينَ البلاء أن يقول: إفعل بي ما أنتَ أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله، فاغفر لي خطئتي فإنَّ لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهلٌ لذلك.

وطبعاً لا تكون مصداقاً لهذه الآية الشريفة التي تقول: ﴿وَلَيْن﴾

أَذْقَنَهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَّاءً مَسْتَهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِّجٌ

فَخُورٌ^(١).

فَاعْلَمْ أَنْ بَعْضًا مِنَ السَّرَّاءِ نَقْمَةٌ وَبَعْضٌ مِنَ الضرَّاءِ نِعْمَةٌ، فَلَا تَذَهَّبْ كُلَّ مَذْهَبٍ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ خَطْلِ الْقَوْلِ وَالْعِيَادِ بِاللهِ.

وَلَا يَفْوَتْنَا هُنَا أَنْ نَذْكُرَ، بِأَنَّ الْعَدْلَ مُسْتَحْسَنٌ عَقْلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحْسَنًا شَرْعًا، وَإِنَّ الظُّلْمَ مُسْتَقْبَحٌ عَقْلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَحًا شَرْعًا، فَإِنَّ قُبْحَ الظُّلْمِ وَاسْتِحْسَانِ الْعَدْلِ لِأَمْرَانِ عَقْلَيَّانِ لَا شَوْبَ بِهِمَا، وَالنَّفْسُ تَمِيلُ إِلَى الْعَدْلِ وَتَنْفَرُ مِنَ الظُّلْمِ لَا مَحَالَةَ، هَذَا مِنْ نَاحِيَةِ وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، فَإِنَّ الْعَدْلَ إِحْسَانٌ، وَاللَّهُ يَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَيَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَأَنِ الْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ غَيْرُ مُطْبِقٍ لَهُ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟

١- سورة هود: آية ١٠.

٢- سورة النحل: آية ٩٠.

ومن هذه الآية الشريفة يُمكِّننا أن نستنتج بأنَّ الله هو (العدل) بعينه، فهو مَبْنَى العدل، فهو الْأَمْر بالعدل، وإنَّ الذي يأمر بالفحشاء والمُنْكَر هو الشيطان الرجيم، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَأَتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْبِئُوا بِخُطُوبِ الْشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الْشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُهُ مَا زَكَرَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ أَبْدَأَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾^(١).

فاعلموا أنَّ الله لا يظلم أحداً، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَإِنْ تَكُ ظَرْبَةٌ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢). وإنَّ كان هناك ظُلم فهو من نفسك وهذا بنص القرآن فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَظْلَمُنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣). بل وإنَّ الله لا يُحب الظالمين، فقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ إِمَّا تُوا
وَعَكِمُوا الصَّلَحَاتِ فَيُؤْفَقُونَ مُؤْجَرُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

١- سورة النور: آية ٢١.

٢- سورة النساء: آية ٤٠.

٣- سورة النحل: آية ١١٨.

٤- سورة آل عمران: آية ٥٧.

هذا ولا ننسى أن الظلم يُقسّم إلى قسمين: فـمِنْهُمْ مَنْ هُوَ ظالِمٌ لنفسه مُبِينٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْلَمُ الْآخَرِينَ، وَكِلَاهُمَا جُرْيَةٌ كُبْرَى وَذَنْبٌ عَظِيمٌ، فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّكَ سَتُدَانُ كَمَا تَدِينُ، وَسَيُعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مِنْ قَلْبٍ سَيُنْقَلِبُونَ.

هذا وأن لا ينسى التوبة، فقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

وأخيراً أقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعزّ الأجلّ الأكرم، فلذا أدعو جميع المذنبين إلى التوبة النصوح ما دام باب التوبة مفتوح، فعلل هذا يكون باباً للفرج ويكون باباً لرفع هذه الغمة عن هذه الأمة بعونه وفضله.

النبوة

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
توكلت على الله رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمد وآلها أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد أتممنا شرح أصل من خمسة هي للدين أصول، ونحن نعلم
أن لو لا هذه الخمسة فالدين إلى أ Fowler، وما وصلنا إليه هو ((النبوة)),
فما هي النبوة يا تُرى؟

نقول: النبوة تندرج تحت قاعدة اللطف إن سمعتم بها، أي إن الله لطيف بعباده لا يظلم أحداً مثقال ذرة، فإن قلتَ أين اللطف في إرسال الأنبياء والرسُّل، فلنـ: إن من واجـ الرسُّـل هو هداية الناس وإصلاحـهم وكذلك ينـذرون ويـشـرون، فقد قال تعالى في محكم

كتابه العزيز: ﴿رُسَّالًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَبْيَانَاتٍ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ أَنْبِيَاءً أَمَّا مَا تَوَالَمَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَأْذِنِهُ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

فنستنتج من هذه الآيتين أمرين:

الأول: إن إرسال الرسُّول إلقاء للحجّة.

والثانية: من واجب الرسُّول التبشير والإنذار.

وكلّ هذه الأمور داخلة في اللطف، حيث أنّ الرسُّول تبلغك بر رسالة رب العالمين ولو لا هم لما عرفت رسالة ربّك، ولحسّرت مع الكافرين، وقد أقيمت عليك الحجّة، فإنّ أطعت فأنت مع المؤمنين وإنّ عصيتك فحشرتك الله مع العاصين، إذن فقد كطفَ بكم ربكم أنّ أرسل لكم رسولاً يبلغكم بتعاليم رب العالمين بعد إذ كتم لا

١- سورة النساء: آية ١٦٥.

٢- سورة البقرة: آية ٢١٣.

تعلمون، فقد قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتَلَوَّا عَلَيْكُمْ إِيمَانَنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا كُنْتُمْ تَكُونُوْا تَعْلَمُوْنَ﴾^(١).

ثم اعلم أنه توالت الرُّسُل والأنباء من آدم وإلى خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، ويجب علينا الإيمان بهم كلهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن بهم مؤمنون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِمَانَ الرَّسُولِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّهُمْ إِمَانَ بِاللَّهِ وَمَا تَبِعُهُمْ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولُهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَاتُلُوا سَمِعَنَا وَأَطَعْنَا غَفَرَانَكَ رَبَّنَا وَإِيَّاكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن للنبوة والرسالة والعصمة درجات، فقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾^(٣).

وأن لكل نبي معجزة، يثبت بها نبوته أمام العقول القاصرات

١- سورة البقرة: آية ١٥١.

٢- سورة البقرة: آية ٢٨٥.

٣- سورة البقرة: آية ٢٥٣.

وأمام أنظار البشر، فهو ذاك النبي الصادق الذي عُصِمَ عن الخطأ إلا أن بعض العقول تحتاج إلى ما يُرِشدُها ويَدُلُّها على نبيّها، وإحدى الطرق هي المُعِجزة، وطبعاً المُعِجزة لا تكون إلا مع الحاجة إليها وإنْ فانَّ الاطمئنان بل وصفات النبي هي دليل على نبوَّته إلا أنَّ الدنيا أعمَّتْ قلوب الظالمين.

ثم لا بدَّ علينا أنْ تنبه إلى أمرٍ مهمٍ جدًّا، وهو أنَّ الرسول يُبلغك بأمور قد كُنْتَ غافِلاً عنها بل جاهِل بها، وعليه فتححتاج في تصديقه إلى اطمئنان تام بما يُخْبِرك وبما يُلْغِلك به عن الله جل جلاله وعلا مكانه، وهذا الاطمئنان بَلَغَ ما بَلَغَ لا يَتَمَّ إلا مع العِصمة، فإنَّه إنْ لم يكُ معصوماً جالَ في خاطرك الكثير من الإشكالات، أولها وأهمها هو: أنَّ ما بَلَغَكَ به قد يكون خطأً أو اشتباهاً، والعياذ بالله، فِلِذَا فإنَّ عِصمة الأنبياء ضرورية لنا.

ويَتَّسِعُ من عِصمة الأنبياء وجوب طاعتهم، فلو لم يكونوا كذلك لما وجبت طاعتهم إلا عَرْضاً، كوجوب طاعة وكلائهم في حياتهم سلام الله عليهم أو ما بعدهم من وصيٍّ وغيره، وبما أنَّ طاعتهم واجبة فهي حُجَّةٌ علينا فإنْ عصيناهَا عوقبنا وإنْ أطعناهَا أثبنا، وكلَّ ما يصدر من المعصوم من تقرير وسكتوت فهو حُجَّةٌ، فإنْ نهاكَ عن

شيء وَجَبَ ترَكَه وإنْ أَمْرَكَ بشيء وَجَبَ فِعْلُه، وإنْ سَكَتَ عنْ فِعْلِكَ مع توفر بعض المقدّمات بِأَنَّ فِعْلَكَ مُطَابِقٌ للشريعة، وغيرها من المُتعلّقات.

ثم لعلكم قد سمعتم بـ(أولي العزم). فأقول هُم: نوح وموسى وعيسى وإبراهيم ومحمد بن عبد الله (صلواته وسلامه عليهم أجمعين)، فَهُمْ لَمْ يَرْتَكِبُوا أَيْ ذَنْبٍ وَلَوْ دُقِّيَّاً، أَلَمْ تسمّعْ قَوْلَهُ تَعَالَى مَا يتعلّق ببعض الأنبياء، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَيْهِ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ يَنْجِدْ لَهُ عَزِيزًا﴾^(١).

عموماً، فلعل ما يُميّز هؤلاء هو عزّ مَهْمَمٍ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرَنَا مِنْ أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمِنْكَ وَمِنْ فُوجٍ وَلَيْلَةٍ هِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنَيْهِمْ وَلَذِكْرَنَا مِنْهُمْ مِنْ قَبْلَ أَغْلِظَهُمْ﴾^(٢).

ولعل هناك معاجز كثيرة لكثير من الأنبياء إلا أن معاجز أولوا العزم سلام الله عليهم أوضح وأشمل ولا ينكرها إلا العاجد، فأولها الطوفان وثانيها عصا موسى وانفلاق البحر ومنهم من كَلَّ الناس

١- سورة طه: آية ١١٥.

٢- سورة الأحزاب: آية ٧.

وهو في المهد صبياً، مُضافاً إلى مِعْجزة المعاجز التي تحدى الله أنْ

يؤتي مثلها، حيث قال: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأُتُوا﴾^(١)

بِسْوَرَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ، وَأَدْعُوا شَهِداً كُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْأَنْسُرُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ

هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُنَّ ظَهِيرًا﴾^(٣)

إذن نقول: إنَّ القرآن هو الوحي المُنزَل من رب العالمين نَزَّله

على قلب رسول الله ﷺ ليبلغ به الناس أجمعين، فقد قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَهَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ﴾

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الْكَفَرِينَ﴾^(٤)، وهو (أي

القرآن) إحدى المُعجزتين الخالدين، فما وصل أحد إلى فصاحته

وبلاعته بَلَغَ مَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ، وهذا القرآن لا يشوبه أَيْ تَغْيِيرٌ وَلَا

تَبْدِيلٌ وَلَا تَحْرِيفٌ فَهُوَ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ لَا يَمْسُسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ،

وقد قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

١- سورة البقرة: آية ٢٣.

٢- سورة الإسراء: آية ٨٨.

٣- سورة المائدة: آية ٦٧.

جِمِيلٌ^(١).

وبمناسبة ذكر كتاب الله العزيز: أقول إني في مناسبات سابقات
نصحكم بحفظ القرآن، فلذا فاني أذكّر به مرة أخرى ولا تكونوا
ممّن خالف نصائح الحوزة الناطقة واتقوا الله، ومن هنا أنصح بإجراء
المسابقات والندوات القرآنية وتدريسه وتحفيظه فهو أمر ضروري
فلا تكونوا من المقصرين.

الإمامية

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وآلِه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل آخر من أصول الدين يجب أن نتبع ما فيه من معانٍ ظاهرية وباطنية، لكي نفهمه ولو بصورة أولية، فالكثير مع شديد الأسف يتكلمون بكلام لا يفهمونه، رباءً وسمعةً ليس إلا، لكن أتمنى على الله سبحانه وتعالى أن يُمْنَّ على هذه الأُمَّةَ بالتفقه والتعلم والتورُّع والتفهُّم والتدقيق في الأمور، فعسى أن تكون باباً لِنَزُول الرحمة ولظهور الحق المُبِين، ظهور مولانا وإمامنا المُهدي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإنَّه قد لا يخفى عليك هذا الأصل، أقصد (الإمامية).
 فإنَّه أصلٌ مُهِمٌ ومنعطف حرج يتميز فيه الحق من الباطل، فمنْ

تَمَسَّكَ به نجا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ غَرَقَ، فَإِنِّي عَلَى يقينٍ مِنْ أَنَّ الْكَثِيرَ قَدْ سَمِعَ بِالإِمَامَةِ، لَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُ هُلْ هُوَ أَصْلُ أَمْ فَرْعَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، بَلْ قَدْ يَخْفِي عَلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنْ مُتَعْلِقَاتِهِ.

عَموماً، فَإِنِّي إِنْ رَكَّزْتُ عَلَى هَذِهِ النَّقْطَةِ كَثِيرًا فَلَا هُمْ يَهْتَمُونَ بِهَا إِلَيَّمَ بِهَا الْأَصْلُ يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ التَّقْلِيدِ بَلْ هُوَ عَقِيدةٌ رَاسِخَةٌ، تَسْتَجِيبُ لَهَا جَمِيعُ الْحَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ، فَإِنَّ حُبَّكَ لِأَثْمَتْكَ (سَلامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) يَسْتَدِعِي مِنْكَ الْخُشُوعَ وَالْخُضُوعَ وَيَسْتَدِعِي مِنْكَ التَّضْحِيَةِ وَالْفَدَاءِ (فَكُلَّا وَعَدَ اللَّهَ الْحَسَنِي)، فَلَا تَكُونُ فِي أَصْوَلِ الدِّينِ مُقْلَدًا، وَلَا تَكُونُ كَبِيغاً لَا تُحْسِنُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا تَرْدِيْدَهُ، وَاتَّقِ اللَّهَ وَكُنْ لِلأَمْرِ مُتَفَهِّمًا وَلِدِينِكَ مُتَبَعًا وَلِرَبِّكَ خَاشِعًا وَلِنَبِيِّكَ طَائِعًا وَلِأَثْمَتْكَ مُحِبًا، فَتُنَوَّزُ بِجَنَّةِ عَالِيَّةٍ قَطْوَفُهَا دَانِيَّةٌ، وَسْتَكُونُ مِنْ حَبَّابِ اللَّهِ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ وُفِّقْتُ وَرَزَقَ اللَّهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ، إِنَّهُ وَلِيَّ كُلَّ نِعْمَةٍ وَمُنْتَهِيَ كُلَّ غَايَةٍ.

وَطَبِعًا، نَحْنُ لَسْنًا بِصَدْدِ عَدَّهُمْ سَلامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَبْدًا مَا بَقِيَ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ، اللَّهُمَّ وَارْزُقْنَا زِيَارَتَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ وَلَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنَّا لِزِيَارَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ عَدَّهُمْ لِيَهُ لَيْسَ مَا نَبْغِي فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ عَوَامِ النَّاسِ لَا يُحْسِنُ عَدَّهُمْ بَأَنَّهُ لَا يَعْدُ بَعْضَهُمْ أَوَّلَعِكْسٍ، لَكِنَّهُذَا مُوكُولٌ إِلَى كُتُبِ الْعَقِيَّةِ فَرَاجِعُهَا رَجَاءً، فَإِنَّ

أولُّهمَّ أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي ابن أبي طالب عليهما السلام وآخرهم محمد بن الحسن هادي ومهدي هذه الأمة ومخلصها من الظلمة والظلماء.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنَّ البشر بحاجة إلى إمامٍ هادٍ يخلف رسول الله عليهما السلام، فإنه ما بعثَ الرسول إلا لطفاً بالعباد، أي مُطابق لقاعدة اللطف الإلهي، فكيف به وهو الرحمن الرحيم أنْ يرفع هذا اللطف وتنقطع صلة الأمة بخالقها، فهي كانت برسول الله عليهما السلام قائمة، فإذا ماتَ أو قُتلَ انقلب الناس على أعقابِهم، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ فَمَا خَلَقَ مِنْ قَبْلِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ أَلْشَكَرِينَ﴾^(١).

إذن، إثبات الإمامة استمرار ثبوت النبوة وبقاءً لها، فهم ذرية بعضها من بعض، فَهُمْ أهل بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل، وَهُمْ عِدْلُ الكتاب، وَهُمْ القرآن الناطق سلام الله عليهم أجمعين.

إذن، قاعدة اللطف تقتضي وجود هاد، ولا بد أن يكون معصوماً حتى يكون قوله مُطابقاً لحكم الله الواقعي، فقد يُقال: فأين ذلك مما

نَحْنُ فِيهِ، أَيْ عَصْرِ الْغَيْبَةِ، أَقُولُ:

أولاًً: غِيَابُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَنَافِي الْاسْتِفَادَةَ مِنْهُ، فَهُوَ كَالشَّمْسِ خَلْفَ الْغَيْوَمِ، مَتَّعْنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ كُمْ بِطْلَعَتِهِ الْبَهِيَّةَ (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ).

ثَانِيًّاً: إِنَّهُ يَقُومُ بِوَاجْبِهِ أَثْنَاءَ غَيْبِهِ، وَلَذَا فَهْنَاكَ الْكَثِيرُ مِنْ رَآءِهِ، وَلَكِنْ مَنْ دُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْإِمَامُ، وَمَنْ أَدْعَى رَؤْيَتِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْإِمَامُ قَبْلَ الصِّيَحَةِ وَالسُّفِيَّانِيُّ فَهُوَ كَذَّابٌ، بَلْ وَمَنْ أَدْعَى لَوَازِمَ ذَلِكَ فَهُوَ كَاذِبٌ أَيْضًاً.

إِذْنُ، لَا تَخْلُوُ الْأَرْضُ مِنْ حُجَّةٍ كَمَا وَرَدَ مِنْ حِينِ الْخَلِيقَةِ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا الْكُنْ كُلُّ بِحْسَبِهِ أَوْ قُلْ كُلُّ بِمَسْتَوِيِّ الْخَلِيقَةِ فِي حِينِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْطَّرَفَيْنِ عَلَى ذَلِكَ، مَعَ اخْتِلَافِهِمْ بِالْمَصَادِيقِ، وَإِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِّنِينَ.

وَلَا يَفُوتُنَا أَنْ نَذْكُرُ هُنَّا نُوَّابَ الْأَئِمَّةِ (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)، وَهُمْ: إِمَامٌ نَّاَبٌ خَاصٌّ أَوْ نَّاَبٌ عَامٌ.

وَالنَّاَبُ الْخَاصُّ: هُوَ الْمُنَصَّبُ مِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ، وَالْعَامُ: هُوَ الْحَاكِمُ الْشَّرِعيُّ أَوْ الْمُجَتَهِدُ الْجَامِعُ لِلشَّرَائِطِ، وَكَمَا وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَإِمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِدِينِهِ مُخَالِفًا عَلَى هُوَاهُ مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِ أَنْ يُقْلِدُوهُ)، وَمِنْ هَذِهِ الشَّرُوطِ نَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَيِّ أَحَدٍ حَقُّ التَّصْدِيِّ لِلْفَتْوَى وَالتَّصْدِيِّ لِأَمْرِ الْمُجَتَمِعِ، فَكَمَّ

هي شروط صَعْبة المِنَال، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهَ.

هذا وَإِنَّ الْإِمَامَةَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ بِنَصٍّ، وَلِذَا فَإِنَّهُمْ (سلام الله عليهم) مَنْصُوصٌ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِذَا فَهُوَ لَيْسَ مَسَأْلَةً تَنْصِيبٍ أَوْ انتِخَابٍ أَوْ اخْتِيَارٍ، بَلْ هِيَ مَنْصُوبٌ إِلَيْهِ بَحْثٌ يَجْبُ عَلَى كُلِّ أَحَدِ الْأَنْقِيَادِ إِلَيْهِ وَطَاعَتْهُ بِلَا إِسْتِشَاءٍ أَبْدًا، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِمامًا زَمِانَهُ كُبَّ عَلَى مَنْخِرِيهِ فِي النَّارِ، أَوْ كَمَا وَرَدَ: (مَاتَ مِيتَةُ الْجَاهِلِيَّةِ)، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، فَالْجَاهِلُ مَنْ خَفِيَ عَنْهُ الْحَقُّ، بَلْ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ الدُّنْيَا وَأَعْمَتْ بَصِيرَتَهُ.

مُضَافًاً إِلَى أَمْرِ مُهُمْ آخر، فَإِنَّهُ قد وَرَدَ: (يَا عَلِيٌّ هَلَكَ فِيكَ اثْنَانٌ، مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبِغِضٌ قَالٌ)، وَهَذِهِ لَيْسَ عَقِيدَتُنَا فِي الْأَئِمَّةِ (سلام الله عليهم)، بَلْ هُمْ عِبَادٌ مُكَرَّمُونَ أَخْصَصُهُمُ اللَّهُ بِالْإِمَامَةِ وَالْكَرَامَةِ، فَلَا نُغَالِي فِي حُبِّهِمْ وَلَا نُسْتَنْقِصُ مِنْهُمْ، فَالْتَوْسِطُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ هُوَ الْوَسْطُ، وَحُبُّ التَّنَاهِي شَطَطٌ، فَلَا أَلَّهُمْ وَلَا أَنْصَبْ لَهُمُ الْعَدَاءُ، بَلْ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً.

هذا وَإِنَّ الْإِمَامَةَ بَدَأَتْ فِي يَوْمِ الْغَدَيرِ، وَهُوَ يَوْمٌ تَنْصِيبٌ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَما رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحَجَّ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: (مَنْ كُنْتُ مُولاً فَهُوَ مُولاٌ لِي، مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِّي مَنْ وَالِّي وَعَادٌ مَنْ عَادَهُ وَانْصَرَ مَنْ نَصَرَهُ وَانْحَذَلَ مَنْ خَذَلَهُ)، وَهَذَا حَدِيثُ التَّقْلِينِ الَّذِي يُسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى إِمَامَتِهِمْ (سلام الله عليهم)، حِيثُ

أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنَ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّو بَعْدِي أَبْدًا: كِتَابُ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي).

هذا وأحِبُّ هنا التنويه إلى أمر آخر، وهو أنَّ لَقَبَ الْإِمَامَةَ بِمَعْنَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ مُخَصَّصٌ لِلْمَعْصُومِينَ الْاثْنَيْ عَشْرَ فَقْطًا وَحَسْبٍ فَهُمْ يَحْجُزُونَ تَسْمِيَةَ غَيْرِهِمْ بِهِ، إِلَّا مِنْ بَابِ إِمَامِ الْجَمَاعَةِ أَوِ الْجُمُعَةِ، وَهَذَا يَقْتَضِي تَسْمِيَةَ الْكَثِيرِيْنَ بِهِ، لَا بَعْضُهُمْ دُونَ الْآخَرِ، إِلَّا أَنَّ يُقَالَ الْوَكِيلُ كَالْأَصْيَلِ، لَكِنَّ لَا يَعْمَلُ الْإِمَامَةَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ.

هذا وَإِنَّهُمْ مَبْعَثُ خَيْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ وَالْمَعْصُومُ خَيْرٌ، وَهُمْ قَدْوَةٌ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيُجَبُ التَّأْسِيُّ بِهِمْ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، لَكِنَّ لَا تَصِلُ النُّوبَةَ إِلَى ادْعَاءِ الْعِصْمَةِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ بَلِ التَّأْسِيُّ بِأَفْعَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ وَكُلَّ مَا هُوَ يَمْتَلِئُ لَهُمْ بِصَلَةٍ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُمْ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُمْ، اللَّهُمَّ وَمَنْ نَصَبُوا لَهُمُ الْعَدَاءَ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ دَيَارًا، اللَّهُمَّ وَاشْغُلْ الظَّالِمِينَ بِالظَّالِمِينَ وَأَخْرِجْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ سَالِمِينَ إِنَّكَ وَلِيَّ كُلَّ نِعْمَةٍ وَمُنْتَهِيَّ كُلَّ غَايَةٍ.

فَلَا خَيْرٌ فِي شَخْصٍ يَدْعُونِي أَنَّهُ مِنَ الْأُولَائِءِ أَوْ مِنَ الْأَوْصَيَاءِ أَوْ مِنَ انصَارِ الْإِمَامِ وَهُوَ غَيْرُ فَاهِمٍ لِأَصْوَلِ دِينِهِ وَفِرْوَاهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا لِلَّدِينِ مَطَّبِقِينَ وَلِلْعِقِيدَةِ فَاهِمِينَ، فَتَكُونُوا مَصْدَاقًا لِجُنْدِ الْإِمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

المَعَاد

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمدٌ وأله أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ها نحن نصل إلى آخر أصل من أصول الدين ألا وهو (المَعَاد)
 أو قُلْ يوم القيمة.

إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَسْتُلْقِي رَبَّهَا حَتَّمًا مَقْضِيًّا، وَإِنَّ
 هنالك يوم يُبعث فيه أهل القبور، فقد قال تعالى في مُحَمَّدٍ كَتَابَهُ
 العزيز: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ مَرَتَهُ لَا رَبَّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

الْقُبُورِ﴾^(١).

١- سورة الحج: آية ٧.

ولو أردنا أن نُفصل، فإننا نقول: إنَّ هناك يوْمٌ بَعْدٍ وَهُنَاك يوْمٌ حِسَابٍ، إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَيُنَشِّرُهُمْ نَشَرًا، ثُمَّ يَكُونُ حِسَابُهُمْ عَلَى رِبِّهِمْ، فَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَيَكُونُ حِسَابُهُ عَسِيرًا وَمَنْ تَقْلَلَتْ مَوَازِينُهُ فَيَكُونُ حِسَابُهُ يَسِيرًا، فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعِيشُنَا يَظْلِمُونَ﴾^(١).

وبما أنَّ الْمَعَادُ هو أصل من أصول الدين فهو لِزَام على الجميع أنْ يؤمن به حقَّ إيمان، لا أنْ يكون فيه مُقْلَدًا أو مُسَايِرًا، بل يجب على الجميع أنْ يفهمه حقَّ فهمه ويدقق فيه حقَّ تدقيق، فلا يُمْكِن المرور على مثل هذا الأمر مروراً سريعاً، بل يجب أنْ يكون مروراً دقيقاً، كي تكون ممَّن تفَقَّهَ في دينه وعقيدته، فلا خيرَ في شخص يَدْعُعِي أَنَّهُ مِنَ الْأُولَائِينَ أو مِنَ الْأَوْصِياءِ أو مِنَ انصارِ الإِمامِ وهو غير فاهِم لأَصْوَلِه وفروعِه فاتقوا الله وكونوا للدين مُطَبِّقِين وللعقيدة فاهِمين، فتكونوا مِصَادِقاً لجُنْدِ الإِمامِ إِنْ شاءَ اللَّهُ.

واسْتَدِرَاكًا أَقُولُ: لعلَّ البعض يقول إنَّ مُقتدى الصدر كثير العَتَب أو الانتقاد لجيش المهدى أو قُل لأتبعاه، فأقول: إني أخاف

عليكم يوم التَّنَادِيْمَوْمَ تولُّوا مُدَبِّرِيْنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ، فَمَنْ ذَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ، وَلَا يَنْفَعُ كُونَكُمْ مِنْ جَيْشِ الْمَهْدِيِّ أَوْ مُقْرَبٍ لِلْتَّيَارِ الصَّدِرِيِّ وَلَا مِنْ أَيِّ حَزْبٍ آخَرَ، فَلَا يَنْفَعُ هَنَاكَ مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ، فَكُلٌّ يَفْرُّ مِنْ صَاحِبِهِ وَبَنِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تَؤْوِيهِ، فَوَاللهِ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى، فَلَا تَتَصَوَّرُ أَنَّكَ بِالْتَّحَاوِلِ بِهَذَا الْجَيْشِ الْعَظِيمِ حُصِّنْتَ مِنَ النَّارِ بَلْ قَدْ صَرَّتَ فِي مَكَانِ حَرْجٍ، ((فَوَقَكَ اللهُ وَتَحْتَكَ جَهَنَّمُ))، وَأَقْلَّ زَلْلَ أَوْ خَطَأً هَلَكْتَ، فَكُونُوا عَلَى قَدْرِ الْمَسْؤُلِيَّةِ، وَطَبَّقُوا أَحْكَامَ اللهِ حَقًّا تَطْبِيقًا وَلَا تَتَكَبَّرُوا إِنَّكُمْ أَنَاسٌ تَأْكِلُونَ وَتَنْطَقُونَ، وَتَمْلَأُونَ قُلُوبَكُمُ الشَّهْوَاتِ وَأَتَمْنِي لَكُمُ التَّكَامُلَ حَتَّى تَكُونُوا بَعِيدِيْنَ كُلَّ الْبَعْدِ عَنِ الشَّهْوَاتِ وَالنِّزَوَاتِ بِعُونَهِ تَعَالَى، وَاعْلَمُ أَنَّ مَا يَنْفَعُكُمْ هُوَ عَمَلُكُ الصَّالِحِ، فَأَصْلِحُ فِي أَمْوَالِكُمْ كُلَّهَا، وَلَا تَعْتَدُ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ، وَكُونُوا لِلَّدِيْنَ وَلِلْمَذَهَبِ وَلِأَهْلِ الْبَيْتِ وَلِآلِ الصَّدِرِ زَيْنَاً وَلَا تَكُونُوا شَيْنَاً، لَعَلَّكُمْ بَعْدَ أَنْ تَهَتِّدُوا تَكُونُوا هُدَاةً إِنَّ شَاءَ اللهُ، وَمَنْ يَكُنْ هَادِيًّا فَلَا يُبَعِّدُ النَّاسَ عَنْهُ لَكِي يَكُونُ التَّقْرِبُ إِلَى النَّاسِ بَابًا إِلَى هِدَايَتِهِمْ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ سَبَبُ لِضَلَالِهِمْ، فَتَضُلُّ مَعَهُمْ أَبْدًا.

عُمُومًاً، نَعُودُ إِلَى مَوْضِيْعِنَا الرَّئِيْسِيِّ أَلَا وَهُوَ الْأَصْلُ الْخَامِسُ،

فنقول: إنَّ في هذا الأصل فوائدًا جَمِّةً، وهي مُقدَّمة لأمرٍ أهُمْ، فأما المقدمة فهي، ذِكر الموت، فإنَّ تَذَكُّر المعاد ويوم الحساب مُقدَّمته الموت، وذِكر الموت في حَدَّ ذاته مُستحب، فقد وردَ: (إِنَّ ذِكْرَ الموت أَفْضَلُ العبادة)، وَوَرَدَ أَيْضًا: (لَمْ يَكُثُرْ عَبْدٌ مِنْ ذِكْرِ الموت إِلَّا زَهَدَ فِي الدُّنْيَا)، إذن فالتمسُّك في الدنيا يُزِيدُ مِن التكبُّر والانغماس في الدنيا شيئاً فشيئاً، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا إِيمَانًا قَدَّمَتْ أَيْنِيهِمْ وَاللهُ عَلَيْمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١)، أي أنَّ الظالم لا يتمنى الموت لأنَّه مُتمسِّك بالدنيا مِن ناحية، وأنَّه يخاف سوء عاقبته مِن ناحية أخرى، إِلَّا مَنْ أَغْفَلَ ذَلِكَ مُطْلِقًا.

وطبعاً، ذِكر الموت صارَ مُقدمة لأمرٍ أكبر وهو ترك الدنيا، وخصوصاً بعدَ أَنْ نعلم أَنَّ ترك الدنيا الدُّنْيَا هو أمرٌ يرضي الله جل جلاله وعلا مَكَانَه، فيكون ذِكر الموت مُقدمة لطاعة الله ورضاه، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرْ الموت يَكُنْ مَمْنُوناً أَعْمَتْ الدُّنْيَا قَلْبَه وَكَانَ قَلْبَه قَاسِيًّا، فهو كالحجارة أو هو أَشَدَّ قسوة، وإنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهَا الأَنْهَارُ.

هذا ولا يفوتنا التطرُّق إلى أمرٍ مهمٍ آخر، فإنَّ الإنسان في موعد

دائم مع الموت وإنَّ الإنسان في موعد دائم مع الحِساب، فإنَّ لأعمالك كتاب عند الله وفي هذا الكتاب تُدوَّن الكبيرة والصغيرة حتى يقال: (ما لهذا الكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها)، فأفرغ كتابك من كلَّ صغيرة وكبيرة وأملأها بكلَّ خيرٍ وصلاح، فتكون ممن أوتيَ كتابه بيمينه، وأولئك لا يظلمون نقيراً، وأما إذا كُنْتَ مِنْ أصحاب الشمال ف تكون مِنْ النادمين، فتقول: (يا ليني لم اوتَ كتابيَّةً).

إذن ولا تنسَ نصيتكَ مِنَ الدنيا، فهذا لا إشكال فيه، وخصوصاً إذا كان بالصور المنشورة أو مطابقاً للأحكام الشرعية، لكن يجب أن يكون ملازماً لذكر الحِساب، كالذي يُحاسِب نفسه ليلاً فيذكر أعماله الخيرية لـيثاب عليها ويذكر سيناته لـتغفر له، أقصد: أنَّ يوم الحِساب عند المؤمن في كلَّ لحظة وفي كلَّ آن، وكما وردَ: (إعمل لِدُنْيَاكَ كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرِكَ كأنك تموت غداً). واعلم أنَّ الموتَ حقٌّ، ولا محِيصٌ عَنْهُ على الإطلاق، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْكُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشَيَّدةٌ﴾^(١).

فلا تكُ من حَصِّنوا أنفسهم في قصور الظالمين أو المناطق الحمراء أو الزرقاء؟! بل يدرُّكَ الموت أينما تكون، فإنَّ وعدَ الله حق، وهو لا يُفرق بين أهل الحق وأهل الباطل - من هذه الناحية -. وهذا أيضاً يمكننا تقسيم الموت إلى قسمين: مَوْت مَادِي، وموْت معنوِي. فإنَّ موت الجسد هو الأول والموت الثاني هو موت النفس الأمَّارة بالسوء تارة، أو موت المعانِي السامِية تارة أخرى، فاما الأول فهو المتكامل والثاني هو المتساُل، فلا تكُ من تسافلوا وكن من تكاملوا، هذا وإنَّ الموت له عدة تفسيرات علمية كما في الاصطلاح الطبي أو الشرعي أو غيرها، وإن شئت فراجع.

هذا ويجب أن نؤمن أنَّ هناك جَنَّةً وناراً، ولا يلقى الجنَّة إلا المؤمن الصالح ولا يلقى النار إلا المُشرِكُ الظالم، أو يمكن القول إنَّ الجنَّة للعمل الصالح وإنَّ النار للعمل الطالع، ولذا قال تعالى:

﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَّقْضِيًّا﴾^(١)، وخصوصاً بعد أنَّ نعلم أنَّ أغلب الناس بل لا يستثنى إلا المعصوم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيُعاقبوا على السيء ويُثابوا على الصالح بعونه تعالى، إلا أنَّ يُناقَش في الضمائِر الواردة في الآية، ولا مجال إلى مناقشتها هنا بطبيعة الحال.

التوحيد

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم
 توكلت على الله رب العالمين
 وصلى الله على خير خلقه محمد وأله أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هنا قد يرد سؤال قد يخطر على البال: هو الفرق بين الفروع والأصول، فنقول بهذا الصدد وباختصار: إن تارك أو جاحد الأصول يكون كافراً إلا ما خرج بدليل، وإن تارك الفروع يكون فاسقاً عموماً، فإن أسس الدين وما يقوم به (أي أصول الدين) خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامية والمعاد، فهذه خمسة ونحوها قول الشاعر:

لو شُقَّ عَنْ قَلْبٍ يُرَى وَسَطَه سَطْرَانْ قَدْ خُطَا بِلَا كَاتِبٍ

العدل والتوحيد في جانبِ وحبُّ أهل البيت في جانبِ

وَهَا نَحْنُ قَدْ شرَحْنَا أَرْبَعَةً مِنْهَا فَإِنَّا الآن نَعُودُ لِأَوْلَاهَا وَهُوَ

(التوحيد):

وَلَقَدْ جَعَلْنَا الخاتمة لِأَهْمِيَّتِهِ أَوْلًا وَلِلتَّسَالِمِ عَلَيْهِ ثَانِيًّا، وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا، وَلِهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، فَيُمْكِنُنَا القولُ هُنَا بِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ يَتَّأْلِفُ مِنْ شَقَّيْنِ: الْأُولُّ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِأَنَّ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَمِنْ خَالِفِ الشَّقِّ الْأُولَى كَانَ كَافِرًا مُلْحَدًا لَا إِلَهَ لَهُ، وَمِنْ خَالِفِ الشَّقِّ الثَّانِي فَيُكَوِّنُ مُشْرِكًا وَالْعِيَازَ بِاللَّهِ، وَالشَّرِكَ مِنَ الْكَبَائِرِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحَكَّمٍ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دَوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١).

وَأَمَّا إِذَا أَرَدْنَا الْاسْتِدْلَالَ عَلَى التَّوْحِيدِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ سَبِّحَنَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِّيَ

إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّا فَاعْبُدُونَ^(١)، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكَانُوْهَا أَنَّاسٌ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا أَلَّا يَرَى لَهُ مُلْكٌ أَلْسُنَتَ وَالْأَرْضَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِيٌ وَيُمِيتُ فَقَاتِمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أَلْمَغَيْتِ الَّذِي يَقُولُ مُبِينٌ وَكَلِمَتِيهِ وَأَتَيْعُهُ لَعَلَّكُمْ تَهَتِّدُوْنَ^(٢).﴾

هذا مِن ناحية التوحيد، وإذا أردنا الاستدلال بوجوب الإيمان بالله جلّ وعلا، فنذكر هذه الآية الشريفة: ﴿فَقَاتِمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْوَرِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ^(٣)﴾.

وطبعاً الإستدلال بالقرآن هو أحد مراحل الإستدلال، فإنَّ منْ يجَحد وجود الله عادةً يجَحد القرآن، ومنْ جَحَده لا يمكن أنْ تثبت له الوجود أو الإيمان أو التوحيد من القرآن بل لا بدَّ عليك أنْ تستدِلْ بأمور عقلية، وكمثال على ذلك: هو ما يُقال مِنْ أنَّ السفينة إذا كان فيها قبطانين لغرقت، فإنه سيعلو بعضهم على بعض

١- سورة الأنبياء: آية ٢٥.

٢- سورة الأعراف: آية ١٥٨.

٣- سورة التغابن: آية ٨.

ويختلفون فيما بينهم وهذا مذكور في القرآن الكريم أيضاً، حيث

قال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِحَدْدِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ﴾

﴿إِلَّمْ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١)

وكذا قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ

﴿الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢).

وهذا الكلام عقلي قبل أن يكون قرآنياً بطبيعة الحال.

هذا مضافاً إلى أنَّ الخلق يحتاج إلى خالق، فإذا كان الخالق

مخلوقاً لاحتاج إلى خالقٍ آخر وهكذا، وطبعاً هذا يلزم منه التسلسل

الباطل، إذن فلا بدَّ منَ الوصول إلى خالقٍ غير مخلوق وهي من

صفاته جل وعلا.

هذا وإنَّ أحد معاني التوحيد هي الإخلاص، وهنا أحب أنْ

أنقل لكم ما ورد عن أمير المؤمنين (سلام الله عليه)، حيث قال: (إنَّ

أول الدين معرفة الله وكمال المعرفة التصديق به وكمال التصديق به

توحيده وكمال التوحيد الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي

١- سورة المؤمنون: آية ٩١.

٢- سورة الأنبياء: آية ٢٢.

الصفات عنه..... إلى آخر الخطبة).

ويمكنا القول إن الإخلاص هو درجة من درجات التوحيد، ولذا يقال: عقيدة التوحيد وكلمة الإخلاص، هذا ويمكن أن نقول إن هناك من يعبد الله وهو غير مخلص وهناك من يخلص بعبادته جلّ وعلا، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرْتُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنْفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾^(١).

فليس المهم هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى بل المهم كلّ المهم هو الإخلاص له، وهو أيضاً على درجات ومستويات، فيتدرج بالإخلاص حتى يكون مخلصاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَبِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾^(٢).

ثم لا يفوتنا أن نتطرق إلى أمر مهم آخر، لا وهو تقسيم الشرك بالله إلى قسمين: شرك جلي وشرك خفي، وأحد أمثلة الشرك الخفي هو اتباع الهوى، وإن شئت فراجع كتاب فقه الأخلاق ففيه الكثير وينيك عن الكثير، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنّ

١- سورة البينة: آية ٥.

٢- سورة مريم: آية ٥١.

للتوحيد أقسام و يُقابلها الشرك فيكون له أقسام آخر، لكننا لسنا بصدّ
ذِكرها في هذه الخطبة المختصرة، فإن ذِكر الأقسام يحتاج إلى
بعض التوضيح، وقد تخرج الخطبة عن الفهم والاختصار.

وفي نهاية المطاف أنقل لكم بعضًا من عبارات السيد
الوالد ث في فقه الأخلاق فيما يخص التوحيد، حيث قال: ((من
جملة الطاعات القلبية الداخلية بل هو أعظم الطاعات على الإطلاق
و يُقابل الشرك وهو أعظم المعاصي على الإطلاق، ومن هنا وردَ في
بعض الأدعية: (ربِّي إني أطعْتُكَ في أحبِّ الأشياءِ إِلَيْكَ وَهُوَ
التوحيد، وَلَمْ أَعصِّكَ فِي أبغضِ الأشياءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الشَّرَك))^(١).

وأخيرًا نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا له الملك وله
الحمد في الآخرة والأولى، اللهم اجعلنا من المخلصين المخلصين،
وأن نعبد الله حقًّا عبادته ونصبر على عبادته، اللهم إن لم نك أهلاً
لعبادتك فأنت أهل للعبادة، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ لِلنَّاسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾^(٢).

١- الصدر، محمد، فقه الأخلاق، الجزء الأول، ص ٣٩.

٢- سورة الذريات: آية ٥٦.

الفهرس

٣	فروع الدين
٥	الصلوة
١٢	الصوم
١٨	الخمس والزكاة
٢٤	الحج
٣٠	الجهاد
٣٦	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤١	التولى والتبري
٤٧	أصول الدين
٤٩	العدل
٥٥	النبوة
٦٢	الإمامية
٦٨	المَعَاد
٧٤	التوحيد